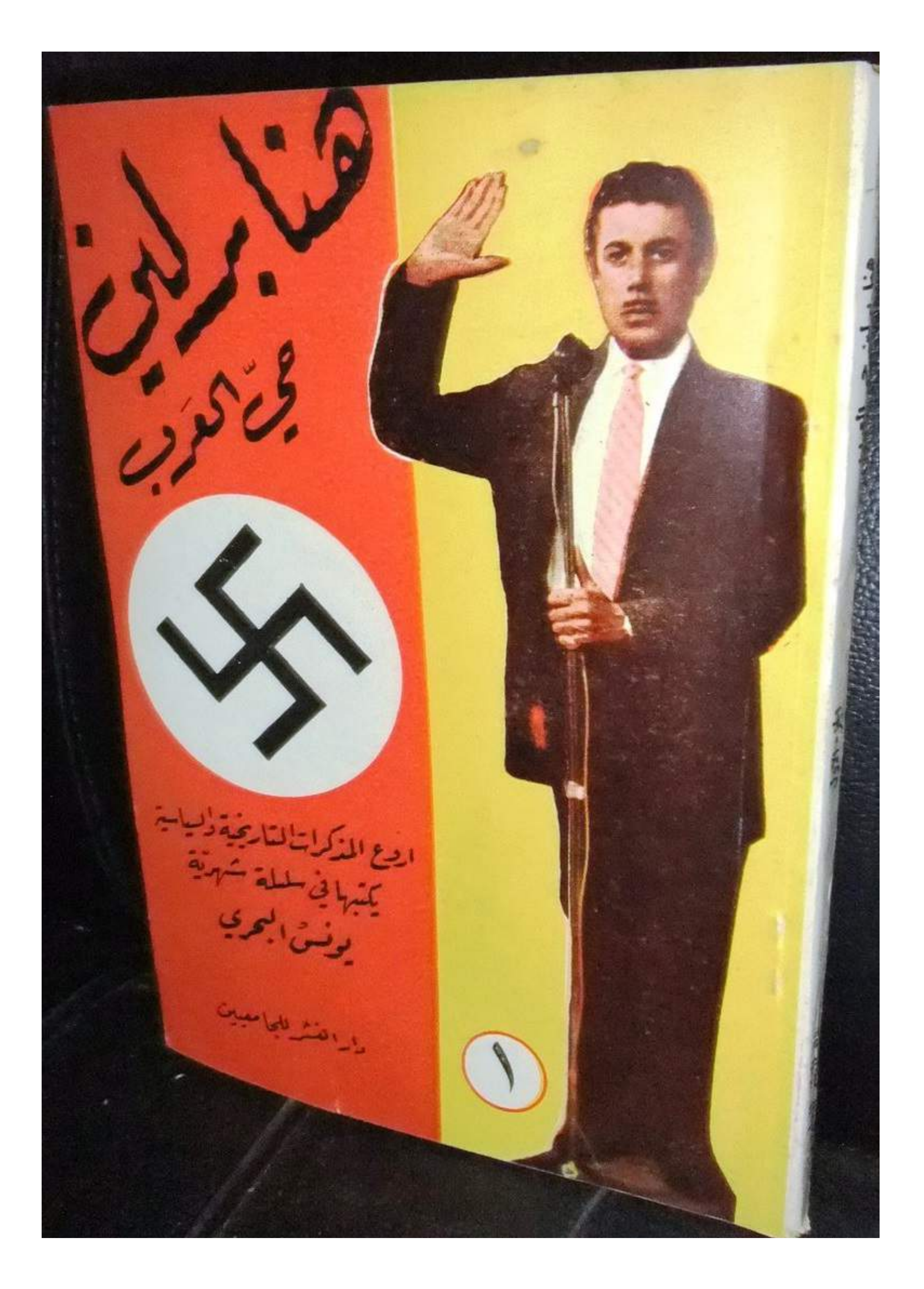

هنا برلين
حيّ العرب
أروع المذكرات التاريخية والسياسية
يكتبها في سلسلة شهرية
يونس البحري
دار النشر للجامعيين
١


هنا برلين
حيّ العرب
اروع المذكرات التاريخية والسيا
يكتبها في سلسلة شهرية
يونس البحري
ISAR
١
دار النشر للجامعيين

هنا برلين

حيّ العرب

أروع المذكرات السياسية والتاريخية

يكتبها

يونس بحري

الصحفي والدبلوماسي والسائح وإمام جامع باريس، ومفتي اندونيسيا، ومستشار ملك ليبيا، ومذيع راديو برلين في الحرب العالمية الثانية وصاحب "العرب" و"حيّ العروبة" الرجل الذي يتقن ١٦ لغة، وعبر مضيق جبل طارق.

زامل "غوبلز" وزير المانيا وتحدث الى موسوليني وهتلر والذي قام بجولة حول العالم على الأقدام باسم "السائح العراقي"

دار النشر للجامعيين

تعريف

لقد اولت دار النشر للجامعيين القضايا الوطنية والقومية ، المكان البارز فى رسالتها التي ما فتئت تعمل على تحقيقها بدقة بالغة وامانة ملحوظة .

وان من ابرز ما يتعلق بقضايانا الوطنية والقومية ، الأطلاع العميق النافذ ، على الكثير من الخفايا والاسرار سواء منها التي رافقت الاحداث العالمية فى الماضي، او التي ترافق هذه الاحداث فى الحاضر .

وتبعا لهذه الاهداف بذاتها ، اصدرت هذه الدار الكتب الاتية : آثار اقدام (للاستاذ اميل خوري) الثورة (لميناحيم بيجن) الستار الصهيوني حول اميركا (لجون بيتي) ، وهي فى كل مؤلف من هذه المؤلفات ترمي الى الكشف عن واقع يهم العرب فى شتى اقطارهم وعلى اختلاف نزعاتهم ، لانه الواقع الذي يتعلق بحاضرهم ومصيرهم .

ويسر دار النشر للجامعيين ، ان تتولى اليوم نشر سلسلة « هنا برلين ــ حي العرب » للاستاذ الذي بلغ من شهرته ومكانته فى العالمين الغربي والعربي ، انه لا يحتاج الى تعريف ليشتهر ، نعني الاستاذ يونس بحري .

ان سلسلة « هنا برلين .. » وفيها اوثق المعلومات وادقها جديدة من نوعها فى الحرف العربي ، وجديدة من نوعها فى دنيا السياسة ، وجديدة من نوعها فى عالم المعرفة السياسية . وليس هراء ان تدعى كذلك .

دار النشر للجامعيين

هنا برلين ! حيّ العرب !

- ١ -

هنا برلين ! حيِّ العرب !

بهذه العبارة المدوية افتتحت الاذاعة العربية من محطة الاذاعة الالمانية فى برلين ، وذلك فى الساعة السابعة من مساء يوم ٧ نيسان « ابريل » ١٩٣٩ .. اي بعد ٣ ايام من مغادرتي بغداد فى ليلة ٤ نيسان ١٩٣٩، الليلة التي صرع فيها الملك الخالد غازي الاول عاهل العراق العظيم بحادث سيارة .. قيل انها اصطدمت بعمود كهربائي في حديقة قصر الزهور الملكي ببغداد !.

لقد كانت الاذاعة العربية التي اشرفت على تأسيسها وحدي وتوليت الاذاعة فيها بمفردي بادىء ذي بدء ، اول اذاعة اجنبية فى محطة الاذاعة الالمانية ببرلين .

وكان الفوهور هتلر يحاول فى ذلك الحين ـ بعد ان حقق « الانشلوس » وضم النمسا الى المانيا الكبرى « غروس دوتشلاند » ـ اسكات الدعاية البريطانية ـ الفرنسية ، التي تفاقمت ضده وضد الحزب النازي فى العالم عامة وفى البلاد العربية خاصة .. حيث قامت اليهودية العالمية ـ وعلى رأسها

اصحاب رؤوس الاموال اليهودية الكبرى في الستي بلندن ، وفي « وول ستريت » بنيويورك ، ومورغنتاو والبارون روتشيلد بفرنسا وبريطانيا ـ تحث الحكومتين البريطانية والفرنسية لتشويه سمعة هتلر والحزب النازي بغية الخلاص من حكمه ليعود اليهود الى المانيا كي يستأنفوا سيطرتهم السابقة عليها . قبل ان يقوم هتلر بتجريد اليهود من املاكهم وطردهم الى خارج المانيا ..

هتلر واليهود

ان اول من شرح للزعيم هتلر حقيقة اليهود وتاريخهم، وكيفية تغلغلهم بين الشعوب التي يعيشون معها ، والطرق التي يستخدمونها للوصول الى الثروة فالسيادة على الشعوب ، هما رجلان اثنان من رجال الحزب النازي الاوائل : الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ ويد هتلر اليسرى (على اعتبار ان هيس كان يده اليمنى) ، ولسانه الذرب الفصيح المدوي !

والدكتور غوبلز كان الرجل الثالث في قائمة تسلسل الحزب النازي من حيث الاهمية والمكانة الرفيعة ، فلقد كان بالاضافة الى منصبه كوزير للدعاية ، المرشد والموجه والواعظ للشعب الالماني والعالم الخارجي ..

اما الرجل الثاني فقد كان الدكتور الفريد روزنبرغ، فيلسوف الحزب النازي وشارح قوانينه ، وواضع التعديلات المستمرة لنظمه ، بالنسبة للتطورات والاحداث التي تقع في المانيا . وكان الرجل الرابع في قائمة التسلسل في الحزب النازي . وكنته اسميه « ايمينانس غريز » الحزب النازي .. او « ريشيليو » الحزب !

تخرج الدكتور غوبلز من جامعة كولون بالمانيا علـى يـد الاساتذة اليهود ، ونال شهادة الدكتوراه فى الفلسفة والاداب ، وتخصص فى علم الاديان المنزلة الثلاثة وهي اليهودية والمسيحية والاسلام . ولما كان تخصصه هذا يفرض عليه بطبيعة الحـال دراسة البيئات التي نشأت فيها هذه الاديان بعد التنزيل على سيدنا موسى وسيدنا عيسى وسيدنا محمد فى فلسطـين وفى الجزيرة العربية ،فلقد الم الدكتور غوبلز المالماما بالتاريخ القديم فساعده هذا على معرفة الشيء الكثير من احوال اليهود وخفي طباعهم : ما ظهر منها وما بطن ، وكذلك معرفة احوال العرب وعلاقتهم التاريخية بالعالم قديما وحديثا ..

اما الدكتور روزنبرغ فلقد كان ضابطا برتبة كابتن فى الجيش الروسي القيصري فى اوكرانيا الحافلة باليهود ابـان الحـرب العالمية الاولى ، وقد عايشهم خلال خمس سنوات فامتـزج بهم امتزاجا سهل عليه الوقوف على كثير من اسرارهـم وتصرفاتهم الامر الذي ساعده اثر التحاقه بالزعيم هتلـر سنة ١٩٢٢ وانضمامه الى الحزب النازي ، على شرح اسرار اليهود وعرض غدرهم وتحطيمهم للقـوى الوطنيـة والاخلاقيـة والاجتماعية فى كل البلاد التي يستوطنون فيها بدون تمييز بين العنصر واللون والدين ..

ومن اجل ذلك قام هتلر ، فى اول يوم من عرض نظامـه «النازي» الاشتراكي الوطني ، بالحملة على يهود المانياواليهودية العالمية .. واستمر فى الحملة الى ان ظفر بحكم المانيـا فى يـوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ .

المهمــة شاقــة !

لقد كانت مهمتي عسيرة شاقة للغاية وانا اشرع بالعمل فى اذاعة برلين ! فلم تك المانيا بعد ان احرزت تلـك الانتصارات « الصاعقية » فى مختلف الميادين بالصورة التي دوخت العالم ، وإذهلت الدول ما كبر منها وما صغر . .

حين غادرت بغداد والعراق الى برلين ــ الى حيث لا رجعة ، كما كنت اظن يومذاك ، فى تلك الليلة العبوس القمطرير ليلـة مصرع الملك غازي ــ صباح يوم ٤ نيسان ١٩٣٩ كنت واثقـا من ان الحرب ستقع . . وقد اخترت قلب المحور برلين، للتعاون مع المانيا فى سبيل خدمة قضايا العرب ، والعمـل على تحرير العالم العربي من ربقة العبودية والذل ، فلم يك يهمني تقدير الموقف ! بقدر ما يهمني العمل والاذاعة لأسمع صوت العــرب الاحرار من على منبر اقوى اذاعة فى العالم الا وهي الاذاعـــة الالمانية من برلين .

وبالفعل فان اذاعة برلين قد ساعدتني على عرض القضايا العربية بمختلف اشكالها واوضاعها على الرأي العــام العربي والعالمي . . فتفتح الضمير الانساني لكوارث العرب ومصائــب الاستعمار التي حلت بهم من المغرب العربي الى المشرق العربي .

وكان التجاوب المستحب الذي استقبل به العرب الاذاعــة العربية من برلين منذ اول نشأتها ، مشجعا لي على المضي في مهمتي الشاقة . . فرحت استنبط الوسائل المختلفــة لجعــل الأذاعة العربية من برلين ــ منبر ارشاد وتوجيه، وعاملا رئيسيا فعالا فى شحذ همم العرب، وحملهم على التضحية بكل مرتخص

وغال لتحرير بلادهم والاستماتة فى كفاح المستعمر وخاصة فى فلسطين من يهود وبريطان .. وفى سوريا ولبنان والمغرب العربي .. ولم تنج مني ايطاليا فلقد كنت ادس عليها في اذاعاتي مذكرا العرب بالشهيد الخالد عمر المختار بطل الجهاد الليبي العربي وبما يقاسيه رفاق المجاهد الليبي الاول ادريس السنوسي، من آلام البعد عن الوطن فى مختلف مهاجرهم العربية.

الصفقة الخاسرة

اجتمعت بفخامة السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية فى باريس سنة ١٩٤٧ لاول مرة بعد الحرب في محطة الانفاليد الجوية وكان الاستاذ باهر فائق مدير الشعبة الاقتصادية بوزارة الخارجية العراقية اليوم حاضرا ، فراح السيد نوري السعيد يلومني ويعاتبني لاستمراري فى نقد سياسته ابان الحرب وقبلها من اذاعات برلين ، ثم قال وهو يتهكم ضاحكا وبيده مسبحته التقليدية : ارايت كيف كانت نهاية اصحابك الالمان؟ وكيف اخترت يا يونس الصفقة الخاسرة!

لم اجب «الباشا على هذا التهكم . فلقد سمعت الكثيرين من الناس يوجهون لي هذا الكلام دون ان ابالي ...
ولكنني اخترت الصفقة الخاسرة «المانيا» قبل اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية بسبعة اشهر . وما كنت الا كصديق اختار الصديق الذي يعجبه دون حساب الربح والخسارة ، لا لشيء الا لكرهي القديم لليهودية والاستعمار .

فهل من المعقول كسب الاصدقاء بواسطة معرفة او تقدير نتائج هذه الصداقة .. هل هي خير ام شر ؟

حـرب الاثـير !

كانت الحرب الباردة التي اثارها هتلر فى اوروبا بعد الاستفتاء التاريخي ، الذي قام به فى المانيا وفوزه فوزا اجماعيا بتأييـد مواطنيه ، اثر ضم السار الى المانيا الوطن الام ، والغاء معاهـدة فرساي وتحرير منطقة الروهر الصناعية الضخمة من سيطرة الحلفاء .. السبب المباشر فى اثارة حرب جديدة بين الحلفـاء والمانيا الهتلرية .

فلقد راحت الاذاعات العربية التي اقامتها لندن وبـاريس تشنها حربا لا هوادة فيها ولا لين ضد هتلر وكتابه « كفاحي » وضد الحزب النازي وضد الدكتور غوبلز وزير الدعاية الالمانية الذي صار متفوقا فى دعايته المنظمة القوية .. ولكـن هــذا التفوق وهذه القوة كانت محصورة فى النطـاق الاوروبي .. وكان لزاما على جهاز الدعاية الالمانية انتجد رجلا عربيا يستطيع الاضطلاع بمهمة الرد على الاذاعات المهاجمة باللغة العربية مـن لندن وباريس وغيرهما ..

ولم يكن هذا الرجل سواي انا ــ ولا فخر ــ ولقد تبين لي فى ما بعد انني كنت محط انظار السفراء الالمان فى العواصم العربية .. وكان المثلون الديبلوماسيون الالمان فى البـلاد العربيـة يسترقون السمع ! منذ مطلع عام ١٩٣٨ لمعرفة اشهر المذيعين العرب لمفاوضتهم للتعاقد معهم للعمل فى محطة الاذاعةالالمانية!

فاضـل الجمالي رشحني !

عدت الى بغداد فى اول سنة ١٩٣٨ من رحلتي الى اميركـا الجنوبية بعد انقلاب المرحوم الجنرال بكر صدقي الـذي نفاني الى سوريا ولبنان، فزرت فخامة الدكتور فاضل الجمالي، وكان

مديراً عاما لوزارة المعارف فى وزارة فخامة السيد جميل المدفعي ، التي قامت على انقاض الانقلاب العسكري العراقي ، وكان البحث جاريا عن مذيع اول لمحطة الاذاعة العراقية .

فما ان رآني الدكتور الجمالي حتى هب واقفا وهو يقول قبل عبارات الترحيب : وجدته وجدته ..

قلت : يا دكتور : هل اصبحت مخترعا ؟

قال : نعم لقد وجدتك فانت المذيع الذي نبحث عنه ..

ورافقني الى غرفة معالي وزير المعارف الذي كان العلامة والشاعر الكبير الشيخ رضا الشبيبي .

وفى ذلك المساء كنت واقفا وراء الميكروفون بمحطة الاذاعة العراقية لاقول :

هنا بغداد ! ولكن بدون حي العرب .. لان هذه التحية ولدت فى برلين .

وطفقت اذيع .. واستحسن العرب الصوت والالقاء ، لا ادري لماذا ، ولكن لا جدال فى الذوق .

هنا اذاعة قصر الزهور

كان المغفور له الملك غازي الاول عاهل العراق من المولعين بالاذاعة ، وكانت صلته بهتلر وبالالمان قوية للغاية بسبب وجود صديقي الدكتور فريتز غروبا وزير المانيا المفوض ببغداد فتوطدت اواصر الصداقة بين الملك العربي وزعيم المانيا ، وكنت الصلة السرية بين الملك غازي والوزير الالماني غروبا ، حتى ان الملك غازي ارسل عمه صاحب السمو الملكي الامير زيد بن الحسين ، وزيراً مفوضا للعراق فى برلين .

وذات ليلة كنت اذيع تعليقا سياسيا عن الوضع فى فلسطين

العربية ، وما يعانيه اهلها من عنت اليهود وطغيان البريطانيين، وبعد الانتهاء من التعليق ، طلبني رجل لم يذكر اسمه بالهاتف وقبل ان اسأل من المتكلم ! انهالت علي التوبيخات والشتائم .. وبعد ان هدأ الصوت من حدته اخذ المتكلم يردد « آه لو كانت لدي اذاعة لاريتكم كيف يذيعون!!» ما هذه الميوعة المشينة فى مخاطبة البريطانيين ! وانتهى الحديث .

لقد كان المتكلم الثائر الملك غازي الاول بالذات ..

وفى تلك الليلة كنت اسهر عند الوزير الالماني الدكتور غروبا، وفى سياق الحديث رويت له قصة الغضبة الملكية العجيبة ، وقلت له ان الملك غازي يتمنى لو كانت لديه اذاعة قوية ليري العالم ، كيف يخاطب البريطانيين ، وغيرهم من المستعمرين !

وبعد اسبوع من هذا الحدث القصير طلبني الوزير الالماني واراني صناديق ضخمة وقال وهو يبتسم بخبث :

ــ هذه محطة اذاعة على الموجة القصيرة القوية .. خذهـا الى الملك هدية من الزعيم هتلر !. وحملت الهدية «ليس بيدي طبعا » الى قصر الزهور ، واستقبلني الملك بدون ان يمد يـده لمصافحتي ، فلقد كان حاقدا علي بسبب اذاعاتي « المائعـة » ضد بريطانية ..

قلت : يا سيدنا ، ان اذاعة بغداد هي اذاعة رسمية حكومية، وانا لا املك حق التصرف فيما يعطي لي للاذاعة .. قال هـذا صحيح وابتسم !.

قلت : لدي نبأ سار لسيدنا . . واشرت الى حيث تقف سيارة النقل بحمولتها الثمينة !

قال : ما هـذا ؟

قلت : محطة اذاعة على الموجة القصيرة بقوة ..ه كيلووات . .

هدية من الزعيم هتلر الى سيدنا ..

وسمع العالم صوت الملك الشاب يلعلع من بغداد :

ـ هنا اذاعة قصر الزهور !

وبالفعل اخذ الملك غازي الاول يلهب البريطانيين والفرنسيين، والايطاليين نيرانا حامية ، سببت للحكومة موجات احتجاج واستنكار صاخبة .. ولكن الملك الثائر كان قد وضع في اذنيه وقرا ..

وامرني بترك اذاعة بغداد ، ثم ما كان منه الا ان امر بلاغلاقها .. وتم الامر .

ورحت اذيع مع الملك من قصر الزهور وفار التنور . . وصار الاثير ملكا لنا نقول ما نشاء .. خاصة وان الملك يعتبر بموجب الدستور العراقي « مقدسا وغير مسؤول .. » .

مـن بغداد الى برلين

وهكذا وقع اختيار الدكتور غوبلز داهية الدعاية الالمانية العالمية علي اثر التقارير العديدة التي ارسلها الوزير الالماني ببغداد الى وزير الخارجية فون ريبنتروب ، فوزير الدعاية الالمانية الدكتور غوبلز ..

فأمرني الملك غازي الاول عاهل العراق بالذهاب الى برلين، « متطوعا » لا موظفا ولا اجيرا ! وفيما كنت اعد العدة للسفر وقع المصاب القومي الأليم، فصرع الملك غازي الاول، الملك العربي، الثائر الذي وهب نفسه ليس للعراق فقط ، بل لدنيا العرب طرا .

لم يبق امامي سوى الرحيل وبسرعة .. وقصدت مكتبي لآخذ بعض الوثائق والاوراق المهمة .وبعد دقائق كنت في دار

المفوضية الالمانية فاخبرت الدكتور غروبا بالفاجعة،فقال يجب ان تسافر الليلة لان بريطانيا تتهمك باثارة الملك غازي ضدها وضد حليفتها فرنسا .. وانت تعرف ماذا ينتظرك هنا بعد وفاة الملك غازي ! قلت فهمت !!

وفى الصباح المبكر كانت طائرة المانية تنتظرني فى ميناء بغداد الجوي .. وتسللت نحو الطائرة بدون حقيبة لانني لم اذهب الى بيتي ولم اودع اهلي ..ولم يعرف اي انسان ببغداد والعراق بأن الملك غازي المتلىءقوة وحيويةقد فارقالحياة.. وترك العروبة تفتقده وتبكي على ذكراه .

وهرع الي مفتش البوليس ناجي اليهودي فى المطار الجوي . فجمد الدم فى عروقي .. ولكنه مد يده مصافحا وقال خير ان شاء الله ! قلت جئت اودع معالي الوزير الالماني..

كانت الطائرة تحمل البريد الديبلوماسي ولهذا فان ركابهامن الرسميين لا يفتشون .

عاد البوليس وامتطيت الطائرة بدون ان يشعر العمال الذين كانوا يزودونها بالوقود . واعتلينا متن الجو مودعين بغداد .. الى متى ؟ لست ادري !

فــي برلـــين .

كنت أجيد اللغة الالمانية قبل وصولي برلـين لتولـي ادارة اذاعتها العربية. وكان لي اصدقاء كبار من زعماء الحزب النازي عرفني عليهم فى سنة ١٩٣٠ المغفور له الامير شكيب ارسلان قبل ان يتسلم هتلر مقاليدامور المانيا من الماريشال فونهندنبرغ مستشار الرايخ ورئيس وزارته فون بابن عميد الديبلوماسية الالمانية فى ٣٠ يناير « كانون الثاني » ١٩٣٣ .

وفى طليعة هؤلاء الذين تعرفت عليهم هتلروهيس وغوبلز وربينتروب والدكتور لاي والدكتور روزنبرغ وبالدور فون شيراخ .. وفون وايتزيكر

وتعرفت على جمهرة من رجال الاستشراق الالمان كالباورن اوبنهايم ، واضع كتاب عشائر الجزيرة فى شمال سوريا والعراق وصاحب حفريات « تل حلف » بشمال الجزيرة بسوريا . والبروفيسور كروكمان والبروفيسور جوردان ، والدكتورلينز والبروفيسور شولتز .

ومن رجال الخارجية الالمانية عرفت السفير بروفر والوزير المفوض الدكتور غروبا والوزير المفوض فون هنتيك ، والوزير المفوض الدكتور غرانو، والفيهامرات موريس «امين سر الدولة» وهو مستشرق ممتاز . والمستشارون الدكتور غرانو وشلوبيس والدكتور منزل والهرشتيفن والدكتور هوفمان . وهم جميعا من المختصين فى الشؤون العربية والشرقية .

وفى وزارة الدعاية الالمانية كان لي اصدقاء تعرفوا على البلاد العربية وزاروها مرارا اذكر منهم الهركنوتا رئيس الشعبة العربية والبارون فون ميلد ينشتاين رئيس القسم الشرقي والدكتور غيرهاردروت المستعرب المعروف وغيرهم .

وكانت هذه الصلة القديمة بهؤلاء السادة المتنفذين فى الدولة الالمانية عاملا مباشرا لوضع الثقة بي كاملة غير منقوصة ..الامر الذي ساعدني على القيام بواجبي نحو العروبة والمانيا كما اريد واشتهي ..

منعت اذاعة اسطوانات المبوعة .

كنت اضع برنامج الاذاعة من اسبوع الى اسبوع .. وقد

حرصت على ان لا اذيع الاغاني المائعة التي تعود الجمهور العربي على سماعها من محطات لندن وباريس .. فمنعت اذاعة اسطوانات محمد عبد الوهاب وفريد الاطرش وام كلثوم ..

وقد وردتني رسائل عديدة من السامعين العرب يطلبون فيها اذاعة الاسطوانات الآنفة الذكر .. فرددت عليها بقولي : اذا كنتم تريدون سماع النواح والعويل ويا حبيبي ويا عيوني .. فاسمعوا راديو لندن وباريس وباري ..

اما اذا كنتم تريدون سماع اناشيد الرجولة وايقاظ الهمم وشحذ العزيمة فاستمعوا الى الاذاعة العربية من برلين .

وهكذا فليس صحيحا ما قيل من ان المحور كان ينوي اختطاف الانسة ام كلثوم والاستاذ محمد عبد الوهاب ونقلهم الى برلين للاستعانة بصوتهم للدعاية للمحور !! ابان وصول المارشال رومل الى العلمين وقرب احتلاله القاهرة والاسكندرية

ان ما ذكرته اعلاه يكفي للرد على هذه الفرية التي نقلها التابعي عن احد مخبري « الانتلجنس سرفيس » البريطانية في مصر خلال الحرب !!

فالصديق التابعي نقل الكذب وناقل الكذب ليس بكاذب .

اذاعة القرآن الكريم

كانت الدعاية اليهودية وغيرها من الدعايات المعادية لالمانيا الهتلرية تحاول جاهدة حمل العرب والمسلمين والنصارى على الاعتقاد بان هتلر يكره الاديان .. وان هتلر قد وضع العرب في كتابه « كفاحي » وهو دستور النازية في الدرجة ١٤ من الشعوب ! اي في الدرك الاسفل ! ولكن دور النشر اليهودية في اوروبا واميركا قد تعمدت طبع كتاب كفاحي ودست على

هتلر هذه الدعاية المشوهة للحقيقة والتاريخ . ولذلك فانني قبل الاذاعة بيوم واحد اقترحت على الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ ان افتتح الاذاعة العربية من برلين « بما تيسر من آي الذكر الحكيم !.. »

عرض الدكتور غوبلز الاقتراح على هتلر .. فكان جوابه : هذا واجب !!

وقصدت محل الدكتور بيضا للاسطوانات العربية المعروف باسم « بيضافون » وكان يديره الصديق هاشم معلوف من زحلة في لبنان ـ فلم اجد الا اسطوانات للمقرئة الشهيرة سكينة حسن ، والمقرىء الاستاذ احمد سليمان السعدني السوداني المصري وكان صوتهما يأخذ بمجامع القلوب،والترتيل بالغا منتهى الاجادة .

لنـدن تزمجر ..

وافتتحت الاذاعة العربية من برلين بما تيسر من آي الذكر الحكيم .

واستشاطت لندن غضبا وراحت فى اليوم التالي تمطر هتلر سيلا عرما من الشتائم .. وتنهش من سمعتي ما حلا لها ان تنهش ..

هتلر الكافر .. هتلر الفاجر الذي يحارب الاديان،هتلر الذي يضع العرب ورسولهم العربي الامي فى الدرجة الرابعة عشرة من الشعوب يسمح ليونس بحري باذاعة القرآن !!،انها جريمة لن تغتفر .. وازاء هذا النصر الاول الذي احرزناه فى حرب الاثير فكرت فى انشاء دار لتسجيل الاذاعات العربية الصادرة عن القاهرة وفيها من المقرئين البارزين من يرضي السامع العربي

ويطربه ويشجيه .
وحاز اقتراحي القبول ورحنا نسجل اذاعات المقوئسين والاحاديث ونعيد اذاعتها بعد التسوية والشرح والتعليق عليها .. وكانها ليست منقولة ! بل اذاعات اصيلة صادرة عن برلين .. فسجن الانجليز بعضهم وهم فى مصر والسودان ويا للاسف .. ومعذرة لهم جميعا . .
وراحت دوائر الاستخبارات البريطانية فى مصر تبحث وتحاسب وتفتش عبثا عن كيفية وصول هذه الاذاعات المسجلة الينا .. وكانت الاجوبة السلبية من المقرئين والمذيعين المحدثين تذهل رجال الاستخبارات البريطانية اذ ان مسجلا اذاعيا المانيا لم يحضر الى مصر .. ولم يتصل احد بهؤلاء المتهمين المساكين . وظل امر هذه الحيلة سرا اقلق بال لندن وجعلها تراقب الناس فى مصر بدون جدوى !

لنـدن تتمثل بنـا

لم تكن الاذاعة البريطانية « بي بي سي » B. B. C. تذيع شيئا من القرآن الكريم قبل ان شرعنا باذاعتنا العربية ، فلقد غيرت اذاعتنا راي العالم العربي فى هتلر ، وجعلته يعتقد بأن هتلر بمجرد قبوله اذاعة القرآن الكريم من اذاعاته ببرلين يحترم الدين الاسلامي وبالتالي الأديان المنزلة الثلاثة ..
وبعد لاي .. وبعد ستة اشهر من بدء اذاعة برلين العربية ولاول مرة سمعنا لندن تفتتح اذاعتها العربية بتلاوة ما تيسر من آي الذكر الحكيم ..
وهكذا اكرهت لندن على التمثل بنا واذاعة القرآن الكريم .. ولكن بعد ان اخذت منها زمام المبادرة .. وجعلت المستـر

شامبرلين رئيس الوزارة البريطانية يضيع « الباص ! »

تنظيم الاتصال بالعرب

اخذنا نشم رائحة البارود قبل اندلاع نيران الحرب بشهرين .. وكنا نعلم بان الحرب واقعة لا مفر منها . فوزعت رسائل عديدة بالمئات على الاصدقاء الذين كنت اثق بمودتهم واخلاصهم وعلى الاخص من اولئك الذين راسلوني واتصلوا بي فى برلين كتابة وشفهيا .. وباركوا العمل الذي قمت به ، وعلقوا عليه امالا جساما . وكان من الطبيعي ان اختار الفرصة وقد صارت مناسبة للاتصال بهؤلاء الاصدقاء لمعرفة ما اذا كانوا يريدون التعاون معنا فى حالة وقوع الحرب .. وهل انهم فيما اذا وقعت الواقعة على استعداد لتزويد اذاعة برلين بالمعلومات عن الحوادث الطارئة وعن اخبار العدو الغربي وعن اليهود في فلسطين ، وعن المغرب العربي..وعن كل شيء يتصل بالتطورات المفاجئة فى دنيا العرب ؟

وجاءت الاجوبة ٨٠ بالمائة بالموافقة والاستعداد التام لخدمة المصالح المشتركة بين العرب والمانيا .

المراسلات تلعب دورها

كان رجال السلك الديبلوماسي الالماني فى البلاد العربية على اتم ما يكونوا من النشاط .. فالوقت يمر سراعا ..والاحداث تشير الى قرب دق ناقوس الخطر .. وكنا نعمل كالمحموم الذي يريد الشفاء ليستعد للوقوف وتنظيم الجهاز المختص بعمله.. ولم تكن هناك فرصة تمر بنا الا واغتنمناها لتقوية اذاعتنا برجال يوافوننا بالاخبار يوميا من مختلف انحاء العالم العربي..

اما وقد اخترت الرجال الصالحين ، وتطوعـــوا للعمـل ، متحملين ما قد يصيبهم من مكاره وغرم وسجن وتشريد، فلقد اتفقنا على ارسال الات الارسال والاخذ اليهم .. وهي الـــة « التيلوتيب » التي تشبه الالة الطابعة شكلا وحجما .. منها ما يعمل على الكهرباء ! ومنها ما يسير على البطارية .. فى البلاد التي ليس فيها قوى كهربائية .

وبالفعل فلقد نجحت هذه الفكرة نجاحا لم نكن نحلم به .. وتهاطلت علينا الانباء من كل حدب وصوب كأفواه القرب .. فلم تحصل واردة او شاردة فى البلاد العربية ، الا وكـــانـت اوصافها ووقائعها مسجلة عندنا فى الساعات والايام التي تمت بهـــا .

الانتليجنس سرفيس يحتار

كنت اراقب تسجيل جميع الاذاعات العربية « المعاديـة » لالمانيا وحتى اذاعة باري العربية الصادرة عن ايطاليا فلاحظـت ان ارتباكا مدهشا يسود ما يذاع .. وقلت فى نفسي ان هذا بتأثير اذاعتنا من برلين ..

وسمعت ذات يوم اذاعة لندن باللغة العربية تهيب بالسامعين العرب الا يتصلوا بعملاء المانيا وجواسيسها المنتشرين فى كـل مكان .. لكيلا تتسرب الانباء الخطرة الى اذاعة برلين العربية التي كانت لندن تسميها « ماسخة الحقائق .. »

وفى الواقع فان مهمة الانتليجنس سرفيس كانت صعبـة عسيرة فى البلاد العربية عامة وفى فلسطين خاصة .. وقـــد حشدت لندن كبار رجالها المختصين فى الشؤون العربية لمعرفة كيفية تسرب الانباء الينا .. فلقد اتفق المسيو كولومباني مدير

الامن فى سوريا ولبنان يومئذ مع الكولونيل ستيرلينغ « مراسل التايمس اللندنية » فى دمشق على التعاون معا لكشف اسرار عملاء المانيا فى سوريا ولبنان ..

ووضع بعض الالمان المعروفين فى بيروت ودمشق تحت المراقبة وفى طليعتهم مدام غروس مراسلة وكالة انباء « دي اين بي » .D. N. B دويتشه ناخريشتن دينست الالمانية الرسمية .. والهر روزر الالماني ، وبعض المعروفين بميولهم نحو المانيا من العرب .. ولكن حيرة الانتلجنس سرفيس البريطانية كانت مضحكة حقا .. اذ كيف يجوز لنا ونحن قد دخلنا صميم المعركة ان نعتمد على رجال عرفوا بميولهم نحو الالمان ؟

وهكذا ضاع الوقت على اعوان بريطانيا وفرنسا ولم يعثروا على احد .. وظل السر غامضا عليهم حتى كتابة هذه السطور !

الاذاعة البريطانية تقلدنا

ولفرط تأثير اذاعة برلين العربية على الرأي العام العربي قبل اندلاع نيران الحرب العالمية بعدة اسابيع قررت هيئة الاذاعة البريطانية فجأة وبدون سابق انذار تقليد اذاعتنا فى ثلاثة مظاهر رئيسية !

١ ــ افتتاح الاذاعة بتلاوة ما تيسر من آي الذكر الحكيم ..
٢ ــ بدء الاذاعة بعبارة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
٣ ــ استعمال النكت والتفكه فى النقد والانتقاد ..

ولكن لندن لم تنجح فى استغلال هذه المظاهر الثلاثة .. لاننا كنا قد اخذنا منها زمام المبادرة منذ اول تأسيس اذاعتنا وتعرف العرب عليها . خاصة وان رجال اذاعتهم العرب كانوا فى نظر

الراي العام العربي عبارة عن « مأجورين مرتزقة » يعملـــون لتقوية الاستعمار .. وادامة قيوده المفروضة على بلاد العرب.

كما ان العرب قد استمعوا الى اذاعة لندن وكيف انها هاجمت هتلر وانتقدته بشدة لسماحه باذاعة القرآن الكريم .. ولمـا اذاعت لندن بدورها القرآن الكريم عرف الناس بانها قد غلبت على امرها ، فلقد اذاعته مكرهة لا بطلة .. بعد ان شعرت ولو بعد وقت طويل بان احترام العرب والمسلمين لهتلر قد ازداد ، وان اذاعة برلين قد فرضت نفسها ، وشقت طريقها الى قلوب العرب . فجاءت لندن تدلي بدلوها الى جانب دلونا رغم انفها .. ولكن دلوها كان مثقوبا .. فانفلت الماء واندلق الدلو في فاتحة المطاف !

وهكذا فان جزاء النفاق المتعمد كان الصد عن اذاعة لندن . وكاد ان يجمع العرب على سماع اذاعة برلين ، بالرغم عن وجود جماعات من العرب الخوارج الذين كانوا يسيرون وراء ناعــق الاستعمار ، ويروجون له الاشاعات والاضاليل .. ويغرمون او يسجنون من يستمع الى صوت حي العرب من برلين ..

الصراع الخفي
بين الدعاية والخارجية الالمانية

- ٢ -

من اجـل فلسطين ..
اليهـود مجرمـون !

كان اول امر قمت به في اذاعة برلين توجيه الرأي العام العربي الى الاهتمام الشديد الزائد لنصرة فلسطين العربية ، ومحاربة اليهودية العالمية ، واثارة الدنيا ضد بريطانيا .. واضعا نصب عيني قوة الدعاية اليهودية وتأثيرها على الانجلوسكسون والعالم اللاتيني .

وكنت اعرف ان مكافحة الدعاية اليهودية بطرق الدفـــاع والرد والفلسفة والتكذيب وجميع الطرق « الديماغوغية » لا تنفع مع قوم كفروا بالمبادىء السامية والمثل العليا في الصدق والامانة وحفظ العهد .

ومن اجل ذلك قررت الهجوم عليهم بكل مالدي من حول

وقوة مستغلا الاذاعة الالمانية القوية الصاخبة فملأت الدنيا ضجة واشهرتها علـى بريطانياوفرنسا واسيادهما اليهـود حربا عوانا لا هوادة فيها ولا لين ..

وكان الهجوم موفقا للغاية واستجابت دنيا العرب للنـداء العربي من برلين ..

وقامت قيامة البريطانيين فى البلاد العربية واخذت تحمـل الحكومات العربية المحالفة لها على منع او تحريم سماع اذاعة برلين .. وكذلك سارت فرنسا على هذا المنوال فمنعت سماع اذاعة برلين فى سوريا ولبنان وبلاد المغرب العربي ..

وحتى ايطاليا الحليفة الطبيعية لالمانيا واحدى دول محـور « برلين روما طوكيو » قامت بدورها فمنعت سماع اذاعتنـا العربية .. لان ايطاليا دولة مستعمرة .. وان مجرد ذكر كلمة الاستعمار يخيفها ويحفز القوى العربية فى ليبيا المجاهدةلتجديد الانتفاضة الوطنية ضد الاستعمار .

لقد امعنت فى الهجوم على اليهودية العالمية حتى انني رحت اسميهم « اليهود المجرمين » !

اليهود ليسوا مجرمـين ..

وجاءني الدكتور غرهارد روت مراقب الاذاعة العربية واحد اركان وزارة دعاية الدكترو غوبلز وزميلي العزيز منذ اول يوم شرعنا فيه بالاذاعة وقال لي ان « الجماعة » لا يوافقونك على تسمية اليهود « المجرمين !!»

قلت من هم « الجماعة ؟ »

قال وزارة الخارجية الالمانية فى الويلهلم شتراسة ..

واخبرني بان البارون فون هنتيك المشرف على القسـم

الشرقي فى وزارة الخارجية الالمانية قد اتفق مع رئيسه وايتزسكر امين سر الدولة الاول ونائب فون ربينتروب وزير الخارجية على عدم استعمال كلمة « اليهود المجرمين .. »

قلت اخبر « الجماعة » بانني لن اذيع الا اذا استعملت عبارة اليهود المجرمين .. لانهم بالفعل فى نظري ونظر كل عربي والماني مخلص « مجرمين »

الاصطدام الاول ..

ورحت استمر فى اذاعاتي على جري العادة اقولها مدوية فى الاثير .. وارددها بعناد وبنبرات لاذاعة نفاذة .. اليهود المجرمين !

وفى اليوم التالي قدم الى مكتبي الدكتور منزل معاون الهر ميلشرز مدير القسم الشرقي بوزارة الخارجية الالمانية وكان الدكتور منزل المشرف الاول على الاذاعة العربية وهو يقول بحدة وبلهجته المصرية الجيدة : ممنوع يا استاذ استعمال عبارة اليهود المجرمين !!

فقلت له ببرودة واستهزاء الق هذه الاوامر على موظفيك .. اما انا فانني هنا سيد عملي .. اذيع ما اشاء ! دون ان يكون لكم حق التدخل فى اقوالي !

قال : ان الاذاعة جهاز الماني ..

قلت : ومن قال لك انني موظف الماني ؟

قال : ان الهر فون هنتيك المشرف العام على القسم الشرقي قد امرني ان ابلغك رسالته ..

قلت : انه يستطيع ان يأمرك وحدك .. اما انا فلن استمع لاوامره .. انني اعمل هنا متعاونا مع المانيا والزعيم هتلر !

غضب الدكتور منزل وضرب المنضدة بحدة !! وقبل ان يقول كلمة ، كنت امسك بتلابيبه واجره جرا نحو الباب والقي به خارجا لاعنا الساعة التي رأيت فيها وجهه !.

عنــد الدكتور غوبلز

وكتبت تقريرا الى الدكتور غوبلز قدمته اليه « ســــرا » بواسطة البارون فون ميلدينشتاين مدير القسم الشرقي بوزارة الدعاية وكان من اصدقائي القدامى فى المانيــا . فقــال لي ان المشكلة ستحل كما تشتهي . .

ان فون ميلدينشتاين كرئيس للهر كنوته من اكثر الالمانيين فهما للقضايا العربية وحبا للعرب وكرها لليهود . . وقــد كنا بفضل منزلتهما المرموقة فى الحزب النازي من الرجال الذيــن لا يرد لهما قول مهما عظم الامر . وكانا قد لمسا الاثر الفعــال الذي صار للاذاعة العربية من برلين بفضل اللــه ثم بفضــل وجودي على راسها ولا فخر ، من التقارير المرسلة من العواصم العربية من سفارات ومفوضيات المانيا فيها .

قال لي الهر كنوته استمر فى اذاعتك ونفذ السياسة التي تراها مناسبة فلنا فيك كل الثقة . . وفى اليوم التالي جاءنــي الدكتور فيشيكل مساعد الدكتور منزل بوزارة الخارجية وقال لي بلغة عربية فصيحة كأي عالم من علماء الازهر الشريف . .ان الهر فون هنتيك يريد مقابلتك بمكتبه . . .

ولما دخلت عليه وقف وهو مقطب الجبين ولم يمد يــــده لمصافحتي ثم قال :؛

ـ ان عبارة اليهود المجرمين ليست عبارة انسانية .

قلت انني لم احضر الى برلين لاتلقى درسا فى الانسانية

قال : هذه تعليماتي !

قلت : ارجوك ان تبلغها الى الدكتور غوبلز ..

قال : ان المانيا لا يسرها ان تظهر اذاعتها بمثل هذا المظهر .

قلت : يا حضرة البارون انني اخاطب العالم العربي المنكوب باليهود المجرمين باللغة التي يفهمها وتؤثر فيه .. ولست اخاطب الشعب الالماني .

قال : اذا لم نتفق ..

قلت : نعم . وانصرفت الى مكتب الهر هانز فريتشه لسان حال الدكتور غوبلز وطلبت مقابلة وزير الدعاية وعرضت عليه القصة كاملة .. فابتسم قائلا :

ــ يا هر بحري ان المشكلة لا تخصك انت بالذات .. فانت فى هذا الخلاف عامل ظاهر فى تجديد الصراع الكامن بين رجال المدرسة البسماركية فى وزارة الخارجية وبين رجالي من الشباب الهتلري فى وزارة الدعاية !!

ان الرجل الوحيد من رجال المدرسة البسماركية الذي تفهم الاشتراكية الوطنية هو فون بابن سفيرنا فى انقرة . ثم قال الدكتور غوبلز ان العرب والالمان هم ضحايا « الجرائم » اليهودية ، فلقد ابتلي العرب فى فلسطين وغيرها بالجريمة اليهودية السافرة .. وابتلي الالمان بهذه النكبة العالمية . فنحن والعرب شركاء فى تحمل ظلم اليهودية العالمية ، ولن ينقذ العرب من اليهود الا انتصار المانيا !

انني ابارك عبارتك « اليهود المجرمين » . هيا اسمعني اياها بلغتك العربية .. فرددتها عليه ! فقال قلها ولا تخف .. هكذا كما سمعتها منك . هايل هتلر . وانصرفت شاكرا .

العرب في المانيا قبل الحرب

- ٣ -

هيس يكــره المصريين

كان الزعيم هتلر يميل منذ ان بدأ بنشر دعوته « الاشتراكية الوطنية » اي « النازية » وهي الحروف الاولى من اسم الحزب باللغة الالمانية « ناسيونال سوسياليست » اجل يميــل الــى معاونة العرب ضد اليهودية العالمية وذلك بفضل المعلومات التي قدمها اليه الدكتور غوبلز والدكتور روزنبرغ اول الامر ..

وقد زاد فى ميل هتلر لتأييد القضايا العربية عامة وقضيــة فلسطين العربية خاصة وجود ساعده الايمن وخليفته فى الزعامة « هيس » الذي نقل اليه الكثير من الشؤون العربية .

ان خليفة هتلر هيس ولد وعاش فى الاسكندرية وهو يجيد اللغة العربية باللهجة المصرية الاسكندرية كأي مصري اصيــل ولكنه لسبب لم يعرف كنهه كان يكره المصريين ويحب العرب من غير المصريين .. وكنت كلما قابلته فى نــادي الصحافــة الاجنبية ببرلين الذي كان يتردد عليه الوزراء الالمــان وزعماء الحزب النازي يقبل بكليته علي ويصيح بأعلى صوته « ازايك يا

خواجه يونس ؟ أمال مبسوط ؟ ازاي برلين عاجباك ؟ ولكن الهر هيس اذا راى مصريا امتقع وجهه وولى الادبار حتى ولو كان يتحدث الى سفير او وزير .. واذكر على سبيل تأكيد هذه الظاهرة الخفية ان الحرب العالمية الثانية لما وقعت امر الهر هيس « خليفة هتلر » بسجن جميع المصريين الذين كانوا فى المانيا واعتبارهم من الاجانب الاعداء .

وجاءني الصديق الدكتور كمال الدين جلال مراسل الاهرام فى برلين بعد عودته من مصر الى المانيا فى اوائل الحرب يخبرني بهذا الاجراء التعسفي من الالمان ضد المصريين .. وقال ان امر اعتقال المصريين كان موعزا به من قبل الهر هيس .

وتأكدت الامر بعدئذ من الصديق الدكتور فريتز غروبا الذي صار رئيسا للقسم الشرقي بوزارة الخارجية الالمانية بعد عودته من العراق حيث كان وزيرا مفوضا لبلده فى بغداد وجدة .

والحق ان الدكتور غروبا قد بذل جهد الجبابرة لاطلاق سراح المصريين واعتبار مصر العربية بلدا صديقا وحليفا لالمانيا كأي بلد عربي اخر بالرغم عن قطع الدول العربية علاقاتها مع المانيا .

العرب حلفاء الالمان

وقد قال لي الدكتور غروبا ان الزعيم هتلر قد اصدر اوامره الى قادة القوات المسلحة للرايخ ورجال دولته باعتبار العرب « شعبا حليفا وصديقا » حتى ولو اعلنت حكوماته الحرب على المانيا !! وعلى هذا الاساس امر هتلر باطلاق سراح المصريين المعتقلين وساوى بينهم وبين غيرهم من العرب الذين كانوا فى

المانيا ولم يعتقلوا رغما عن قطع علاقات دولهم مع المانيا .

كان هتلر يردد دوما قوله ان العراق هو «بروسيا العرب!» لان ارتباطه شخصيا بالصداقة الوثيقة مع المغفور له الملك غازي الاول ومعرفته الدقيقة بمقدرة الجندي العربي ، تلك المعرفة المستقاة من المفوضية الالمانية ببغداد ، خاصة وان اعجاب المرحوم الجنرال بكر صدقي بطل الانقلاب العسكري العراقي سنة ١٩٣٦ كان شديدا بالزعيم هتلر .. فلقد كان متزوجا مواطنة لهتلر .. وهي سيدة نمسية من العاصمة فيينا وكانت شديدة التأثير على زوجها القائد العراقي الثائر الذي قام بالانقلاب العسكري بالاتفاق مع الملك الخالد غازي الاول ، ذلك الانقلاب الذي باركه هتلر وشجع القيام به ضد بريطانيا وبالتالي ضد اليهود في سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ .

وكان هتلر يولي فلسطين العربية اهمية كبرى في منهجه الخاص المرسوم لتحطيم اليهودية العالمية والقضاء على النفوذ البريطاني المنتشر في الشرقين الاوسط والعربي قضاء لا رجعة فيه .. ومن اجل ذلك كان يرى في الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر رمزا للنضال العربي المقدس اول الامر..

كما كان يرى في السوريين واللبنانيين دعامة قوية لاستقرار الشرق الأوسط وقد حباهما بالتفاتة خاصة في مشاريعه المقبلة التي كان ينوي القيام بها للتعاون مع السوريين واللبنانيين في الحقلين السياسي والاقتصادي !

واذكر يوما ان الزعيم هتلر استدعى الدكتور غوبلز الى قصر المستشارية وطلب اليه ان يستقدمني الى حضرته !!

ابن سعود وهتلر !

وادخلوني على الفوهرر لاول مرة بعد وصولي الى المانيا ..

وكان ذلك فى العاشر من حزيران ١٩٣٩ ووقفت امام الرجل الذي دوخ العالم وبهرت شهرته الدنيا بأسرها وكنت اعرفه منذ سنة ١٩٣٠ . وبحركة لا ارادية رفعت يدي محييا: هايل هتلر .

وردد هتلر بنفسه : هايل هتلر !

ومد يده لمصافحتي ..

وقال هتلر : ان ابن سعود قد ارسل اليه وفدا برأسه السيد خالد آل هود « القرقني » لمفاوضته فى بعض المسائل الخطيرة . فهل تعرف من هو السيد خالد آل هود ؟ انني معجب كل الاعجاب بالملك عبد العزيز ابن سعود فهو رجل عصامي خلق فى الصحراء مملكة ووحد القبائل والامارات والمشيخات الصغيرة . انه رجل يستحق كل احترامي !!

قلت الحق ان الملك عبد العزيز كما وصفتم يا ايها الفوهرر وانا اعرفه قبل ان يحتل الحجاز سنة ١٩٢٥ اذ زرته فى الرياض عاصمة سلطنة نجد فى ذلك الحين .

اما رئيس الوفد السعودي العربي السيد خالد آل هود فهو من مجاهدي ليبيا وهو كبير المستشارين للملك بن سعود ورجل له صفات الديبلوماسي البارع .

والتفت الزعيم هتلر نحو الفراف «الكونت» فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ الالماني وهو يفرك يديه ابتهاجا : اسمعت يجب ان يكون استقبال سفير الملك العربي الكبير مناسبا للمقام ..

وكان الامر كما قال هتلر ، فلقد دامت الزيارة الاولى للوفد السعودي الى هتلر ثلاث ساعات !! ثم استقبله مرة ثانية فى مقر الزعيم فى برختشغادين « وكر النسر » بجبال

ساليسبورغ النمساوية . لقد جاء الوفـد السعودي الى برلين حاملا رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود الى هتلر لمفاوضته فى شأن تسليح المملكة السعودية باحدث الاسلحة الالمانيـة التي طبقت شهرتها الخافقين . .

وكما فى بغداد كذلك فى جدة استطاع الدكتور غروبـا وزير المانيا المفوض فى البلدين العربيين الشقيقين ان يوفـق بين هتلر والملكين غازي الاول الهاشمي وعبد العزيز آل سعود وجعل بغداد وجدة تتطلعان بانظارهما الى برلين لخطـب ود هتلر وطلب معونته لتسليح البلدين العربيين وتقديم المساعدات الممكنة اليهما . .

خوف لنـدن وباريس

لقد صارت الحرب الباردة بين المحور وعلى رأسه المانيـا وبين بريطانيا وحليفاتها قبل اندلاع الحرب العالمية الثانيـة باربعة اشهر ، حربا حارة طاحنة ! ولم تعـد المجامـلات الديبلوماسية تجدي نفعا . . لان التسابق الديبلوماسي الذي ظهرت معالمه فى هاتيك الايام بين المحور والحلفاء قد ابرز ثقل كفة هتلر بروزا مروعا لبريطانية وفرنسا ، خاصة وان اهـم دول الشرق العربيٰ فى ذلك الوقت كانت العراق اولا واخرا وظاهرا وباطنا . . ولما اخذ العراق يسير فى سياسته على النهج الذي اختطه المغفور له الملك غازي الاول فى السير على الاتجـاه الالماني منذ سنة ١٩٣٦ والتعاون مع هتلر ، ذلك التعـاون الذي ظهر فى كتائب الشباب ونظام الفتوة فى مدارس العراق . . وارسال وفود الشباب الى المانيا للاشتراك فى مؤتمرات الشباب الهتلري ومعسكراتهم ، وبتسليح الجيش باسلحة حربية حديثة

كان اخطرها المدافع المضادة للطائرات التي اهداها هتلر الى الجيش العراقي سنة ١٩٣٩ ..

وجرى اخر استعراض للجيش العراقي وشهده الملك غازي الاول قبل مصرعة في شهر مارس ١٩٣٩ وشهد الناس لاول مرة المدافع الالمانية المضادة للطائرات ، وكم كانت دهشة الدبلوماسيين البريطانيين والفرنسيين عظيمة عند رؤية اول جيش عربي يقتني مثل هذه المدافع .. ويظهر بمثل هذا المظهر القوي المنظم .. والحرب على الابواب !!

وانهالت التهاني على الملك العربي الشاب .. وهو لم يكن يعلم ما يخبئه له القدر! وقد لاحظت وانا اذيع وصف الاستعراض العسكري الرائع بان السفيرين البريطاني والفرنسي لم يتقدما لتهنئة الملك غازي ! ولما عرضت عليه الامر هز راسه بعنف وقال عبارة « عراقية معروفة » ثم اضاف وماذا يهمني .. انني صافحت هتلر ، وما علينا اذا لم يفهم الاعداء ..

يقينا ان بريطانيا وفرنسا لم تكتما خوفهما من هذه البادرة التي استنها للعرب الملك غازي بتسليح الجيش العراقي باسلحة هتلرية والتعاون سرا وعلانية مع المانيا ، وقصد السفير البريطاني وزارة الخارجية العراقية يستفسر ويستنكر ! واتبعه السفير الفرنسي .. وحتى السفير الايطالي الذي كان زعيمه الدوتشي موسوليني يحلم ببسط النفوذ الفاشيستي على الشرق العربي قبل غيره ..

لورانس الالماني

لقد اعتبرت لندن منذ حدوث الانقلاب العسكري العراقي في سنة ١٩٣٦ بقيادة الفريق بكر صدقي « الدكتور فريتز غروبا»

وزير المانيا المفوض ببغداد ، الخطر الاول المباشر عليها في بلاد العرب ، فسجله الكولونيل هولمز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية ببغداد انه «عدو» بريطانيا في البلاد العربية رقم «١»

وكان الكولونيل ديكوري المشرف على رجال الانتليجنس سرفيس في الجزيرة العربية يزورني في مكتب جريدتي اليومية المسائية « العقاب » ببغداد باعتباري صديقا شخصيا له منذ امد بعيد . . وكان يعلم مدى صداقتي الوثيقة بالدكتور غروبا التي يرجع عهدها الى عام ١٩٣٠ ببرلين بواسطة المغفور له امير البيان العربي الامير شكيب ارسلان ، وكان يستدرجني للتحدث عن الدكتور غروبا ونشاطه السياسي . . فكنت اراوغ في اجوبتي واصف الدكتور غروبا بانه ديبلوماسي من الدرجة الثالثة لا ينبغي لبريطانيا ان تعيره كل هذا الاهتمام . .

قلت للكولونيل ديكوري ذات مرة . . انني شخصيا الرجل الذي عمل على تقوية علاقة المانيا بالعراق وبعاهله الملك غازي الاول . . وليس الدكتور غروبا الذي لا شأن له بهذه الامور الا شأن الوسيط الحريص على تأدية الرسالة الديبلوماسية بحذافيرها ! كما يستمد وحيها من برلين .

فرد علي ديكوري ردا بريطانيا ناعما بقوله : اننا قبل ان نتفاهم مع الاصل . . يجب ان نزيل الوسيط من طريقنا .

واضاف قائلا : انك رجل خبيث وخطر ! وكأنه شعر بالخطأ الذي ارتكبه فقال مبتسما : ورجل ظريف ومحبوب !! ان « صاحبك » الدكتور غروبا اخطر منك . . اي لقب تعطيه لو كنت في موضعي ؟

قلت ان الدكتور فريتز غروبا يمكن اطلاق اسم « لورانس العرب الجديد » عليه . .

قال صحيح وزيادة .. ذلك لان لورانس العرب القديم كان يثير القبائل والبدو .. اما صاحبك غروبا فهو يثير الدول ويقلبها ضدنا .. افهمت يا يونس بحري ؟ يا شريك لورانس العرب الجديد ؟ قالها وهو يصر على اسنانه من شدة الحنق !

ضحكت . ثم قلت له : خليك بريطاني !

قال ماذا تعني ؟

قلت : يعني خليك بارد ..

امام اليمن وهتلر .

اتسع نطاق العمل فى الاذاعة العربية ببرلين وازداد نشاطنا بعد هذا الاقبال المنقطع النظير على سماعنا من هذا المنبر العربي الحر الذي دوخ بريطانيا وحليفاتها ، وبعد ان كنت اعمل واذيع وحدي بالتعاون مع الدكتور روت المراقب الالماني للاذاعة اوفد لنا الامير شكيب ارسلان احد كبار العلماء العرب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من اعلام مراكش وكان يدرس لنيل شهادة الدكتوراه فى جامعة بون . والحق ان هذا العلامةالفاضل قد افادنا فوائد جلى فى العمل لاخراج الاذاعة العربية بشكل قوي ممتاز . خاصة وان البلاغات الرسمية الصادرة عن مقر القائد الاعلى لقوات الرايخ المسلحة تحتاج الى ترجمة شرعية .. وكذلك فعل الاستاذ فرج الله ويردي الكيمائي العراقي المعروف ببغداد .

وقبل شهرين من وقوع الحرب تسلمت اولبرقية منالمغفور له الإمام يحي حميد الدين ملك اليمن يبسط فيها الخلاف اليمني البريطاني ويشرح العدوان البريطاني على المحميات عامة وعلى منطقتي شبوة والبيضا اليمنيتين ! وعرضت البرقية

على الدكتور غوبلز وبعد ساعة قيل لي ان هتلر يرجو ان توضع الاذاعة العربية تحت تصرف الأمام يحي ملك اليمن .

وابرقت الى الامام يحيى بجلية الامر فرد علي شاكرا حسن تصرفي . . ورحت اصلي بريطانيا نيرانا حامية،واخذت برقيات الامام يحيي تنهال علينا يوميا ونحن نزيد عليها شرحا وتعليقا حتى صارت قضية اليمن . فلسطين الثانية !

وامر هتلر قسم الاذاعات الاجنبية الاخرى التي تبث من محطتنا ان تنقل عنا ما تقول ونذيع عن فلسطين واليمن باللغة الانجليزية . وامر الاذاعة الفرنسية ان تقوم باذاعة اقوالنا عن سوريا ولبنان والمغرب العربي باقطاره الثلاثة تونس والجزائر ومراكش والمنطقة الخليفية وطنجة من مراكش .

وقبل ان تعلن ايطاليا الحرب على فرنسا بثلاثة اشهر ، اي في شهر نيسان ١٩٤٠ تسلمت برقية من الامام يحيي حميد الدين يقول فيها ما نصه : بالنظر للعطف المتواصل الذي تبدونه لقضيتكم اليمنية من اذاعة برلين واعترافا بفضلكم والزعيم هتلر على احدى قضايا العرب الكبرى فانني استشيركم في امر ارسال هدية مني للزعيم المجاهد هتلر . فبماذا توصوننا ؟.

هدية الامام وبريطانية

لم اخبر احدا عن برقية الامام يحيي ، وابرقت اليه راجيا ارسال كمية من القهوة اليمنية الشهيرة باسم قهوة « المخا » لانها القهوة المفضلة في المانيا ، ويسمونها « كافي موكا » . وقد ارتفعت أسعار القهوة في المانيا في تلك الايام لندورتها وانقطاع وصولها من اميركا الجنوبية والمستعمرات الفرنسية بافريقيا عنا بسببه الحصار البريطاني الفرنسي المعاكس المفروض على

المانيا . وقد بلغ سعر الكيلو الواحد من القهوة فى المانيا يومها ارقاما خيالية جنونية لا تكاد تصدق .. فصار سعر الكيلو الواحد الفا وخمسمئة مارك اي ما يعادل ١٥٠ جنيها ..

وكانت اجمل فتاة برلينية تركع خاشعة متلهفة عند رؤية حفنة من « كافي موكا » فكيف بالرجال ؟

ان الشعب الالماني اشد شعوب العالم حبا للقهوة اليمنية وتعلقا بها .. وكذلك الزعيم هتلر الذي كان يرتشف جرعاتها لتوحي اليه ما توحي .. من افكار صاعقية مدوية !

وعلى هذا الاساس طيرت الى الامام يحي برقية رجوته فيها ان يبعث هديته الى الزعيم هتلر كمية من قهوة المخا « بونن كافي موكا » ..

وفى المساء تسلمت برقية من ملك اليمن يقول فيها : الهدية تصلكم على باخرة ايطالية .. ورفعت البرقية الى الفوهرر .. فحازت الرضى والقبول .

وبعد مضي اسبوع من تاريخ البرقية اذاع راديو لندن باللغة العربية نبأ من بور سودان قال فيه :

ــ لقد صادرت مدمرة بريطانية فى البحر الاحمر على مقربة من الشواطىء الاقليمية السعودية قبالة ميناء الليث الحجازي هدية الامام يحي حميد الدين ملك اليمن التي ارسلها على باخرة ايطالية الى هتلر !

ثم قال المذيع العربي الانكليزي وهو يتهكم : ان فى استطاعة هتلر بعد هذا ، الاستمرار على شرب قهوة « الايرزاتز » المخلوطة بعد مصادرة قهوة الامام يحي التي تلذذ بشربها جنود جلالته الامبراطورية .. فما كان مني الا المبادرة بتكذيب خبر المصادرة وقلت ان الهدية ستصل فى الموعد المحدد لها ..

وفي الواقع فان الزعيم هتلر قد تأثر من هذا الحادث البسيط .. وبلغ من تأثره انه امر الماريشال غورينغ بان يزيد في قصف بريطانية ! فمسحت قنابله مدينة كوفنتري وازالتها من علـى وجه الارض .

وابلغت الامام يحي النبأ برقيا فجاء الرد انه سيضاعف الهدية فبدلا عن ٢٥٠٠ طنا من القهوة المصادرة ستكون الكمية ٥٠٠٠ طنـا .

وبالفعل وصلت هدية ملك اليمن الثانية الى برلـين .. وقدمتها الى الفرهرر بصحبة الدكتور غروبا فوزعها حصصـا على القوات الالمانية المسلحة ، واهداني ٢٥٠ كيلو من البن كانت ثروة هائلة بالنسبة لي في ذلك الحين .. وجعلـت اسراب الحسناوات تتراكض وتتكاثر على يونس بحري الذي ما عـاد يدري ما يصيد ! (تكاثرت الظباء على خراش !)

وبالرغم عن حاجة هتلر الشديدة الملحة الى القهوة فلم يترك لنفسه منها سوى ٢٠ كيلو فقط اي انه فضلني على نفسه .. وهذا منتهى نكران الذات !

مندوب الامام الى برلـين

كان الدكتور غروبا وزير المانيا في بغداد وجدة قد زار الامام يحي في صنعاء اثر قيامه بتقديم أوراق اعتماده وزيرا مفوضا ومندوبا فوق العادة لبلده لدى البلاط السعودي بجدة ،وكانت اذاعاتي قد سبقته الى اليمن ، فاستقبله الامام بحفاوة بالغة . واقنع الوزير الالماني عاهل اليمن بالتعاون مع المانيـا الهتلريـة بسهولة ، بعد ان ذاق من البريطانيين في المحميات وشبـوة والبيضا اليمنيتين ما ذاق من عدوان متلاحق الحلقات لم ينقطع

حتى يومنا هذا !!

ابدى الامام يحي ارتياحه واستعداده للتعاون مع الرايخ الالماني ، ووعد بارسال مندوب عنه الى برلين لاتمام المفاوضات التي قام بها الدكتور غروبا .

وبالفعل اتم ملك اليمن ما وعد .. وارسل المندوب الذي وصل برلين بعد ان وقعت الواقعة واشتعلت نيران الحرب الثانية التي لم تعلن !!

فمن هو هذا المندوب ؟

ان للحقيقة والتاريخ علينا دين واي دين ! وهذا الدين يحتم علي خسارة اصدقاء اعزاء كنت اعتز بصداقتهم .. واعتبر نفسي من اقرانهم وخلانهم .. ولكن ما العمل والحقيقة والتاريخ لا يرحمان ، ولا يخجلان ..

كان مندوب الامام يحي الى برلين من قدامى ساسة العراق ، والثوار الاوائل .. ومن اقرب المقربين الى السيد نوري السعيد اكثر رؤساء وزارات العراق حظا فى الحكم والرئاسة ..

هذا المندوب هو : الخواجه نقولا ثابت عبد النور الذي صار فى غفلة من الزمن قائما باعمال المفوضية العراقية فى جدة بعد النذن . ولما اعفاه رئيسه وصديقه السابق نوري باشا السعيد من خدمة الحكومة العراقية لاسباب فى جدة نحجم عن ذكرها .. قصد هذا الخواجه اليمن واستحوذ على لب الامام ببراعته اللفظية التي يجيدها والحق يقال ..

وقد وفد مندوب الامام يحي على برلين ، وكصديق مواطن لي « فهو مثلي من الموصل » اوصاني به الامام يحي خيرا ببرقية خاصة ، استقبلته في مطار تمبلهوف قادما من روما .

كان مندوب ملك اليمن يحمل رسالة تفويض رسمية من الامام مع رسالة اخرى شخصية من الامام يحي الى هتلر مضافا اليها الوف الجنيهات الذهبية لشراء الاسلحة من المانيا !

اما رقم الجنيهات الذهبية التي كان يحملها فى حقائبه مندوب الامام فلم تعرف بالضبط ! وقد اختلفت الاراء فى معرفة عددها . .

وصحبت القائم بالاعمال العراقي السابق فى جدة الى الدكتور غروبا مدير القسم الشرقي بوزارة الخارجية فى ويلهلم شتراسه . . ولم يك المندوب اليمني بحاجة الى تعريف ، لانه كان زميلا للدكتور غروبا فى بغداد وجدة . .

ولكنني زيادة فى تكريمه رايت من الواجب ان اقوم بالمهمة كعراقي عربي وكصديق له وللامام يحي الذي تعرفت عليه فى صنعاء عام ١٩٢٩ .

وبدات المفاوضات اليمنية الالمانية . .

عرض المندوب الامامي القهوة والقطن « كذا » والتمور . . « كذا ايضا » والجلود والمصارين والذرة على حكومة الرايخ كبضائع تصدرها اليمن الى المانيا مقابل اسلحة تصدرها برلين الى صنعاء على بواخر ايطالية . . على ان يدفع قسم من الثمن بالجنيهات الذهب التي كان يحملها معه جناب المندوب الامامي الكريم .

واستمرت المفاوضات . . واستمر الخواجه نقولا ثابت عبد النور يسهر الليالي فى طلب المعالي . .

وفى كل يوم يبرق الامام يحي والى مندوبه مستفسرا عن نتيجة المفاوضات مع هتلر فكنت اجيب بانها سائرة على احسن ما يرام .

وكان مندوب « جلالته » يجيب بانها على وشك الانتهاء بنتائج باهرة لبلاد العرب السعيدة اليمن !!

طـرد مندوب الامام !

كنت اسهر مع جناب القائم باعمال العراق السابق فى جدة .. ومندوب ملك اليمن الى المانيا الهتلرية فى الملاهي والمقاصف وكان يبذر الاموال بسخاء وكرم حاتميين .. فلقد كان الخواجه ثابت يهب ما لا يملك .. انها اموال الامام جمعها من الزكاة التي كان يأخذها من اليتامى والارامل والمساكين ..

ومرت الايام والاسابيع والشهور !! وتوقفت المفاوضات .. وفجأة توقف جناب مندوب ملك بلاد العرب السعيدة عن دفع النفقات .. نفقات الفندق الذي كان ينزل فيه .. وكان يعرض جسده عاريا بلحيته المثلثة المدببة على جيرانه فى المنازل المجاورة له من نافذة غرفته ظنا منه انه يستزيد من الاغراء والاستثارة .. مع انه كان ولا يزال بقصر قامته يظهر وكأنه نقطة مربعة .. « بوان كاريه » تسير على قدمين !

وجاء الدكتور غروبا يسألني رأيي فى هذا الرجل ..

لقد عرف الغستابو حقيقته واشتهرت فضائله وامتناعه عن دفع تكاليف معيشته الضخمة لنفاد الالوف المؤلفة من جنيهات الامام الذهبية من ليرات عثمانية وبريطانية « ابو الخيال » وفيكتوريا .. وجورج الخامس ! وحتى جورج السادس المثلث الرحمات ...

قلت لصديقي الدكتور غروبا ان مهمة مندوب الامام يحي

قد استنفدت اغراضها ! كما استنفد هو جنيهاته الذهبية !

ولم يبق امامكم والحالة هذه الا اعطائه جواز سفره ، والقول له تفضل الى سويسرا تجد ما يسرك ..

وهكذا اقتاد رجال الفستابو جناب المندوب الامامي العالي الجناب السيد نقولا ثابت عبد النور الى الحدود السويسرية ، وقيل له : ودع هريرة ! .

العرب في المانيا
ابان الحرب العالمية الثانية

- ٤ -

كانت الالعاب الاولمبية العالمية التي اقيمت فى برلين سنة ١٩٣٦ وسيلة لتوثيق الصلات بين المانيا والعرب فلقد دعى الزعيم هتلر نخبة ممتازةمن زعماء العالم العربيوشبابه القومي المثقف ، وقد قام المتخرجون العرب من جامعات المانيا بدور رئيسي فى تجديد العلاقة بين المانيا الهتلرية والعرب .. بعد ان كانت الدعاية اليهودية الانجلوسكسونية الفرنسية قد عملت المستحيل لابعاد الاتصال بين المانيا والعرب .. حيث روجت بالحاح اشاعات تفيد بان المانيا الهتلرية هي ضد العالم العربي ! وان هتلر يمقت العرب الذين وضعهم فى الدرجة الرابعة عشرة من اصناف الاجناس البشرية ..

والحقيقة التي لا مناص من ذكرها ، هي ان دور النشر اليهودية خارج المانيا هي التي دست هذه الفصول فى كتابهتلر الاول « كفاحي » واعادت طبعه على حسابها لتشويه سمعة

هتلر وجعل كتاب « كفاحي » الذي هو دستور الحزب النازي وبالتالي الشعب الالماني يظهر بمظهر المتعالي على الاجناس البشرية .. الأمر الذي جعل العنصر الآري يطغى على اليهود ! وكيف تسمح اليهودية العالمية وهي التي تزعم بانها تحمل طابع « شعب الله المختار » أن تكون المانيا الهتلرية وعلى راسها هتلر « فوق الجميع » !

النادي العربي

أسس فريق من شباب العرب النادي العربي فى برلين وجعلوا مقره فى افخم واجمل شارع فى عاصمة الرايخ « كورفورستندام شتراسه » الذي يضاهي شارع الشانزليزي فى باريس روعة واناقة ..

وقد شجع الدكتور فاضل الجمالي من رؤساء الوزارات العراقية هؤلاء الشباب وكان يومها مديرا عاما للتربية والتعليم فى بغداد ..

ومن اجل ذلك راح الادون موشى شرتوك المسمى الان شاريت وزير خارجية عصابات اسرائيل فى هيئة الامم المتحدة يعير الدكتور فاضل الجمالي رئيس الوفد العراقي ويصفه بكونه عميلا لهتلر ومتعامل مع المانيا النازية .. وبأنه « نازي » !!

ويظن الادون شاريت اليهودي انه بهذا الوصف يخدش كرامة الدكتور الجمالي.. ويؤلب عليه الوفود الدولية ! متناسيا ان كل دول اميركا اللاتينية قد تعاملت مع المانيا ، واستقبلت الوف الهاربين من قادة الرأي والفكر والمخترعين الالمان الذين تسميهم دعاية الحلفاء « مجرمي الحرب » فى حين ان الاكثرية الساحقة من دنيا العرب تحترم الشعب الالماني وتعتبره حليفا

طبيعيا لها ضد الصهيونية المجرمة في العالم .

ان المؤسسين الاوائل للنادي العربي هم السادة والدكاترة علي الصافي « وزير الاقتصاد العراقي بعد ذلك » وبديع شريف ودرويش القدادي وعبد الحميد الهلالي والمرحوم عبد المطلب السيد يحي وعبد الرحمن الباجه‌جي ومحمود الامين ويوسف عبود ومحمد ناجي عبد الرزاق ورشاد جاسم وفيصل شيخ الارض وابراهيم جوهر وعباس كاشف الغطاء وعبد الاحد داود وكمال الدين جلال وبطرس شويحات وغيرهم من مختلف الاقطار العربية .

وكان النادي مركزا لالقاء المحاضرات والمسامرات العلمية والادبية ، وقد ساهم العراق بنصيب وافر من نفقاته ، حتى ان الدكتور فاضل الجمالي كان يفد على برلين مرة او مرتين في السنة لزيارة النادي والقاء المحاضرات وتفقد شؤون اعضاء البعثة العراقية الضخمة التي اوفدتها وزارة المعارف من شباب الرافدين للدراسة والتخصص في جامعات المانيا .. والتوفيق بينهم وجمع كلمتهم . وجلهم اليوم يقبضون على اعنة المناصب الكبرى في جهاز الدولة العراقية والسورية واللبنانية والاردنية .

وقد اوفد النادي العربي وفودا من اعضائه لزيارة المغرب العربي ، فقاموا بجولات دراسية موفقة استطاعوا بفضلها تعريف المغرب العربي بشقيقه المشرق العربي المناضل باستماتة لاسترداد حريته المغتصبة واستقلاله السليب .

وكان النادي العربي بدمشق وجل اعضائه المؤسسين من خريجي جامعة برلين على اتصال وثيق بزميله النادي العربي ببرلين يتبادل معه الرأي والتوجيه وعلى رأسه الدكتور سعيد الامام :

كما كان نادي المثنى العربي ببغداد محور القوميين العرب وبعض اعضائه من خريجي الجامعات الالمانية ايضا لم يكن على اتصال بالنادي العربي ببرلين بالمراسلة فحسب ، بل ان جل اعضائه زاروا برلين والقوا الخطب والمحاضرات . وكان رئيس نادي المثنى فى بغداد الدكتور صائب شوكت من زوار النادي العربي فى كل صيف . وكذلك الدكتور فريد زين الدين الذي يراس اليوم الوفد السوري الى هيئة الامم المتحدة .

وخلاصة القول ان النادي العربيببرلين كان همزة وصل بين المانيا والعالم العربي . ولا انسى بهذه المناسبة ان اذكر بان نادي الخريجين المصريين من جامعات المانيا فى القاهرة قد قام بواجبه نحو المانيا فى وادي النيل ، وفى طليعتهم الدكتور كمال الدين جلال مراسل الاهرام ببرلين السابق الذي كان اول عربي حصل على شهادة الدكتوراه فى الصحافة من جامعة المانية سنة١٩٣٦

نحن واذاعة لندن

كانت اذاعة لندن باللغة العربية تحاول جهدها التقليل من شأن اذاعتنا العربية باذاعة تكذيبات رسمية لكل ما كنا نذيعه من الانباء الوثيقة الصحيحة عن الوقائع والاحداث فى البلاد العربية عامة وفى فلسطين خاصة .

وكانت هيئة الاذاعة البريطانية البي بي سيB. B. C. قبل ان نشرع بالاذاعة العربية من برلين تستخدم كمحررين ومذيعين بعض الشباب المصريين باجور تافهة .. ولكنها عندما رأت ان اذاعتنا العربية قد انتزعت من يدها زمام المبادرة قوة واقتدارا جندت لاذاعتها طائفة من كبار العلماء والادباء والشعراء فعينت مراسلا لها فى القاهرة الاستاذ كريم ثابت المستشار

الصحفي السابق للملك فاروق السابق وكان يوافيها بالاخبار والتعليقات .. واتفقت « البي بي سي » مع الاساتذة طـــه حسين وعباس محمود العقاد وابراهيم المازني وسلامة موسى ومحمد التابعي والدكتور محمد حسين هيكل وغيرهم لتسجيل التعليقات والاحاديث وشحنها بالمغالطات والتوجيهات المتناقضة لحمل المستمع العربي على الكفر بهتلر وبالمانيا وبالتالي بالاذاعة العربية والطعن بيونس بحري شخصيا !

واستقدمت اذاعة البي بي سي بلندن المذيعين الاساتذة احمد فتحي الشاعر المصري المعروف وعيسى خليل صباغ مـــن فلسطين والشيخ محمد جمعه من علماء الازهر .

وازاء هذا الحشد الضخم من العلماء والادباء والشعــراء والصحفيين لم ار بدا من الاستزادة من الثقة بالنفس والعمل جديا لمكافحة انصار بريطانيا بمصر وهم اصحاب شهرة وسمعة عالمية ذائعة الصيت ! وطلبت الى الدكتور غوبلز الداعية العالمي الاكبر ان يسمح لي بساعة من وقته الثمين ..

ولما شرحت له الوضع عما قامت به « البي بي سي » قـال ضع لي تقريرا ينفذ بحذافيره .

هجومنـــا المضـــاد

كنا فى شهر ايلول ١٩٣٩ . وكانت الايام تقربنا من دقـــة ناقوس الخطر ! . لقد كنا نتوقع حصول الحرب بين يوم واخر .. ولكن احدا لا يعرف متى وكيف تقع الواقعة ..

غير ان السرعة المدهشة التي نفذت فيها رغباتي حسب الخطة التي رسمتها جعلتني اعتقد ان الوقت قد حان ليطلق الزعيم هتلر قنبلته الصاعقية .

لقد طلبت ان يوضع تحت تصرفي جهاز كامل من الموظفين والمهندسين المختصين بتسجيل الاصوات وتسجيل الاذاعات العربية والفرنسية والبريطانية ، والتقاط كل ما يذاع من اذاعات القاهرة وام درمان وبيروت والقدس وبغداد والقرة وتونس والجزائر ومراكش وباريس وراديو باري وسنغافورة. وقد استخدمت من اجل هذه الاعمال ٤٥ موظفا ومهندسا كانوا يعملون بالتناوب ٢٤ ساعة في اليوم .

وماذا كانت النتيجة الباهرة ؟

لقد صار الاثير ملكا لنا ..

وصرت استمع في كل ٥ ساعات الى مختلف الاذاعات والاحاديث التي تبث مسجلة وترسل الى لندن وباريس قبل اذاعتها من العاصمتين بيوم او يومين !!

وكنت اعلق على المهم من هذه الاذاعات والاحاديث المرسلة الى البي بي سي وراديوموندیال الباريسي بساعة او ساعتين.. وافتضح هذه الاسرار الخفية بصورة ادهشت لندن وباريس.. وبهرت الدكتور غوبلز نفسه .

لقد كنا نعمل بمنتهى الكتمان . ولم يك يدور في خلد احد اننا نسترق السمع من الاثير ونسجل مكنوناته التي كان ينقلها من العواصم العربية والشرقية من والى لندن وباريس .

حقا ان الحاجة ام الاختراع .

ولما كنت محتاجا الى ما يجعلني استمر على مسك زمام المبادرة بيدي امام هذه الجيوش اللجبة من المذيعين والاذاعات فلقد ساعدني تفكيري على تنفيذ هذه الخطة المحكمة وجعلتني اقف على الاسرار الخطيرة .. ومن يقف على الإسرار سلفا يستطيع ان يتقي شر الناس والدول بل يتحكم في اقدارهم

ومقدراتهم !

التــوك بـــاك
Talk Back

ان من اهم فنون الاذاعة الحديثة هو فن « التوك باك » اي الرد على الكلام ! في التو واللحظة .. ففكرت في استخدام هذه الطريقة الفذة من اذاعتنا العربية .

وبالفعل شرعت بها . ونجحت الفكرة نجاحا اثار مخـاوف لندن وطير صوابها .

فلقد طلبت الى كبير مهندسي الاذاعة الدكتور هوخهاوزن ان يضبط لي وقت اذاعة الانباء من البي بي سي .. والموجـة والذبذبة في اذاعتنا العربية ويربطها بجهاز اذاعة ينقل اذاعـة لندن ثم يسلط موجتنا على نفس موجة لندن وذبذبة اذاعتها .

ووضعت على اذني جهاز الاستماع من اذاعة لندن وقربـت ميكروفون اذاعتنا من فمي .. ورحت ارد على كل نبـأ اراه يستحق الرد ..

كان السامع العربي الى اذاعة لندن يستمع الى المذيع مـن لندن ، وكان في الوقت نفسه يسمعني ارد على عباراته عندما يقف ليتنفس !

ومن اجل ذلك حاول المذيع من اذاعة لندن ان يذيع بـدون انقطاع ولكن بدون جدوى ، اذ ان الكلام بسرعة وبدون تـأن يضيع على السامع قيمة النبأ واهمية الحديث فيسود الارتباك وتنقلب الاذاعة الى فصل مضحك تافه ..

واستعملت هذه الطريقة المروعة المذهلة مع عباس محمـود العقاد الذي كان يذيع احاديث مسجلة من راديو لندن بعنوان

هتلر فى الميزان .. فعلقت على عباراته تعليقات اضحكت الناس عليه .. ولما سمعها المسكين راح يذيع بعدها احاديثه عن « هتلر فى الميزان » وهو يعدو ويهرول بصوته كجواد يحاول ان يكسب قصب السبق فى حلبة السباق !

وكانت لي مع كريم ثابت وقائع طريفة جعلت الناس تشفق عليه كزميله الآنف الذكر عباس محمود العقاد .. المعقد !

فلقد كان كريم ثابت يمون الاذاعة البريطانية بطائفة كبيرة من الانباء جلها مختلقة وموضوعة من خيال لا شك فى انه واسع المدى كثير الانطلاق ...

وكنت اصحح انباءه او اتهكم عليها بسخرية لاذعة نبأ بعد نبأ .. وعبارة بعد عبارة !

دور طه حسين

لو كنت رئيسا للوزارة البريطانية لمنحت الدكتور طه حسين وسام ربطة الساق الرفيع الشأن الذي لا يمنح الا لمن يؤدي لحكومة جلالتها البريطانية اعظم خدمة يمكن ان يقدمها لها انسان .

وقد منح الملك جورج السادس وسام ربطة الساق للجنرال غورت قائد الحملة البريطانية الذي قذف به المريشال رومل الى البحر فى دنكرك بشمال فرنسا فعبر جيشه او مابقي من فلول جيشه بحر المانش سباحة وعلى قوارب الصيد والبواخر الصغيرة تقديرا لشجاعته .. فى الهزيمة ؟

يقينا ان الدكتور طه حسين اديب مبرز ومحدث بارع، ولكن استماتته فى التشنيع على المانيا واستخدام ادبه وعلمه فى نصرة اليهود كان امرا يدعو الى العجب والدهشة والاسف ايضا .

واذكر انني كنت ارد عليه بقولي الظاهر : ان جناب الدكتور طه حسين يريد ان يكون بريطانيا اكثر من البريطانيين ، افهل كان والده من ابناء عمومة المستر تشرشل الاعداء التقليديين لالمانيا منذ ايام المريشال بلوخر الالماني في معركة واترلو ..

وقلت ايضا : كان الاولى بالمستر « تاه هوسين » اي طه حسين ، ان يستخدم علمه ومعرفته لنصرة وطنه مصر والعرب على بريطانيا التي اذاقت العالم العربي صنوفا مريرة من المذلة والهوان والاستعباد .

ولكنني تلمست للدكتور طه حسين العذر في الدفاع عن بريطانيا العظمى لان اذاعتها تدفع له اجرا محترما من الجنيهات عن كل حديث يلقيه .. فلو دفع غوبلز مثل هذا المبلغ لدافع عن هتلر بحرارة تبعث الشعور حيا .. ولكان لعن سنسفيل بريطانيا ايضا !

على ان هتلر يعرف كيف يختار الاصدقاء . ولا يريد استخدام من اصدر مجلة الكاتب المصرية باموال اليهود !

وفكري اباظة

قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية بعشرة ايام وصل الى برلين الاستاذ الكبير فكري اباظة قادما من شمال اوروبا حيث زارها باحثا كعادته عن صيد طريف وظريف .. دارسا منقبا عن الجنس اللطيف !

وكانت برلين تعج بالالوف المؤلفة من الزوار والسائحين .. والجو مملوء بالاشاعات والاقاويل عن الحرب وعن الحب .. وعن الاكل والشرب .. وعن الحاضر والمستقبل !

فلقد فرض نظام بطاقات التموين على الشعب .. وصار نصيب كل فرد من اللحم ٥٠ غراما في كل اسبوع . وحجزت

وسائل النقل فى الطرق ووضعت كلها تحت تصرف القيادة العليا لقوات الرايخ .

وفى هذا الجو المحموم .. وفى الوقت الذي كنا فيه نضع ايدينا على قلوبنا فى انتظار سماع دقات طبول الحرب . زارني فى مكتبي بدار الاذاعة الاستاذ الكبير فكري اباظه .. فراح يداعب ويطلق النكات والقفشات .

ثم التفت الي وهو يقهقه وقال : اصحيح ما يقولون ان الحرب واقعة ؟

قلت لا يا استاذ ان الحرب لن تقع فى هذه الايام .

قال : والله ان برلين عظيمة « آوي » واحب ابقى معاك عشان نتفسح ونتفرفش زي ايام زمان بباريس .

قلت : خليك معانا فى برلين وسأريك من ليالينا عجبا .. هل لك ان تذيع لنا بعض الاحاديث الطريفة المسلية ؟

قال : لم لا ..

واتفقنا على موعد الاذاعة !.

وكان يوم ١ تشرين الثاني « نوفمبر ١٩٣٩ » !!

وجاءني الاستاذ فكري اباظه وهو يرتجف من شدة الخوف والهلع وقد اصفر وجهه واصطكت اسنانه وصاح بي وكأنه يتمتم : ليه تعمل في كده ؟ انت راح تودينى فى داهية .. دبر لي طريقة اليوم لمغادرة برلين .. الحرب واقعة فى اليومين دول .. انا فى عرضك يا بحري !!

فى القطار الاخير

قلت للاستاذ فكري اباظه بخبث وانا ابتسم : خليك معانا هنا ببرلين وانا اجعلك رئيسا للاذاعة العربية ليزيد الانس

بوجـــــودك ..

قال : ان الوقت الخطر لا يسمح بالمزاح .. ارجوك دبر لي طريقة للخلاص .

ورافقته الى محطة القطار « آنهالتر بانهوف » الموصلة الى ايطاليا وكان الجنرال هالدر هو المكلف بحركة النقل والتسفير وهو من ابناء عمومة الدكتور فريتز غروبا وزير المانيا المفوض في بغداد وجدة فرجوته مساعدة الاستاذ فكري اباظه علـى السفر الى ايطاليا . قال : ان ١٠ قطارات محجوزة للسفارات والمفوضيات الاجنبية ، ولا استطيع تســـــفيره الا في القطار الاخير الذي يغادر برلين في منتصف الليل على الساعة صفر .

وبالفعل سافر الاستاذ فكري على القطار الاخير ...

دقـــت طبـول الحرب

وفي الساعة صفر من ليلة ٢ نوفمبر « تشرين الثاني » امر الفوهرر جيشه بالزحف على بولندا فأخترق الجيش الإلماني الممر « الكوريدور » الكائن بين المانيا وبولندا واحتل مدينـة وميناء دانزيك في حرب خاطفة صاعقية « بليتز كريغ » لـم يعرف التاريخ لها مثيلا ...

لم يعلن الزعيم هتلر الحرب على بولندا ، بل زحف جيش الرايخ فجأة وبدون سابق انذار . وراحت القوات الجويـــة الحربية تقصف المدن والحصون الحربية البولنديـة تمهيدا لتمكين الجيش الذي اطبق على قوات المريشال بلسوديسكي البولندي من كل حدب وصوب من تنفيذ الخطة التي رسمها هتلر ورؤساء اركان حربه بصورة محكمة .

لقدكان الجنرال فون براوخيتش رئيس اركان حرب القوات

الالمانية البرية المسلحة يدير مع هتلر القائد الاعلى للقـــوات الالمانية المعركة فى قلبها فى بولندا . وكان يتنقل من مكان الـى مكان بحركة دائمة مشرفا على الانتصارات التي يحرزهـــا الجيش بسهولة عجيبة رغم استماتة الجيش البولندي القوي فى الدفاع عن مواقعه ..

غير ان السلاح الالماني « الآلي » الفتاك اكتسح ما يعترض سبيله من معاقل حربية وحصون ، وطحن الجيش البولندي الصامد فى وجه الالمان طحنا .. فكانت الدبابات تمر من علـى جثث الالوف المؤلفة من القتلى .

وفى خلال ١٨ يوما انتهت معركة بولندا بدون قيد او شرط او تسليم .. انتهت من تلقاء نفسها بعد ان اخمدت كل مقاومة فى ارجاء البلاد الشاسعة .

حركـة الاتصال بالعرب

والان وقد وقعت الحرب واعلنت فرنسا الحرب على المانيا واتبعتها بريطانيا ، فلقد كان علي ان اعيد تنظيم الاتصـــال بالعالم العربي بالاضافة الى المراسلين السريين الذين سبق ان جهزناهم بالالات المرسلة « تيلوتيب » والالات اللاقطة لتلقي تعليماتنا التي كنا نذيع بعضها بالارقام « الشيفرة » ..

ولما كانت بعض الدول العربية قد قطعت علاقاتهـــا الديبلوماسية مع المانيا اثر اعلان فرنسا وبريطانيا الحـرب على المانيا الهتلرية وفى طليعتها العراق وسوريا ولبنان والاردن وفلسطين بحكم علاقاتها وارتباطاتها مع بريطانيا وفرنسا .. رأيت ان اجعل لشبونه وطنجه همزات وصل بيننا وبـــين المغرب العربي .

فاعتمدنا على اشخاص تربطني بهم اواصر صداقة متينـة قديمة من الذين ليست لهم اسماء طنانة رنانة .. فراحـوا يتصلون بدورهم بالاصدقاء فى مراكش والجزائر وتونـس ويزودوننا بما يجد من الشؤون يوميا .. وفى كل ساعـة اذا تطلب الامر لسبب طارىء مثلا .

واخترت استامبول كهمزة وصل رئيسية بيننا وبين البلاد العربية وبعثت بشخص الى عروس البوسفور فاتخذها مقرا دائما له يرسل الينا منها بالصحف والرسائل التي كانت تصل باسمه من مختلف العواصم العربية .. فكانت صحف القاهرة تنقل الى استامبول بمختلف الوسائل وترسل بالطائرة الالمانية التي تحمل يوميا البريد الديبلوماسي الالماني من السفير فـون بابن بانقرة والقنصليات الالمانية فى تركيا واستامبول .

انني اهملت اعتماد روما او نابولي وهي اقرب الطـرق الى المشرق والمغرب العربيين ليقيني بان البوليس الايطالي كـان يتجسس على الالمانيين ومن يتعاون معهم باستمرار بالرغم من ان ايطاليا لم تعلن الحرب على الحلفاء بعد .

فلقد كان الدوتشي موسوليني يكره العرب ودنيا المسلمين بسبب موقفهم ضده من اجل فظائع ايطاليا وموسوليني بالعرب فى ليبيا وفى الحبشة .. وابادة نصف سكان ليبيا العربية المجاهدة شنقا وتجويعا وسجنا وتشريدا ..

نحـن وايطاليـا

ان علاقة الدوتشي موسوليني بالعرب قديمة جدا يرجع عهدها الى ما قبل زحفه الشهير على روما مع رجال الفاشيست فلقد كان الامير شكيب ارسلان رضي الله عنه على اتصـال

بموسوليني منذ ١٩٢٢ عندما كان موسوليني عديم الالمـــام بالشؤون العربية .. ولكنه عندما تسلم زمام الحكم فى ايطاليا. وصارت ليبيا العربية مستعمرة هينة له ولخمسمئة الف من رعاياه الايطاليين تنمر للعرب وقلب لهم ظهر المجن !

وراح يستخدم ما تعلمه من شؤون العرب من المرحـــوم الامير شكيب ضد مصلحة العرب فى كل مكان وليس فى ليبيا وحدها . ولذلك غضب الامير شكيب من هذا الغـــدر وراح يحطم الطليان وموسوليني بمجلة « الامـــــة العربيـــــة » التي كان يصدرهـــا باللغـــــة الفرنسيـــــة بجنيـــف وبمقالات صارخة كان ينشرها بجريدة الشورى بمصر .

لقد تعرفت على الدوتشي موسوليني فى روما سنة ١٩٢٥ بواسطة الامير شكيب ارسلانعندما مثلت الكشافة العراقية «متبرعا» فى « جامبوري الكشافة الدولية » والقيت امامهخطبة باسم الكشاف العربي ..

وكذلك خطبت امام قداسة البابا الذي استعرض الكشافة يومئذ .. وقد ابتسم كثيرا عندما رآني وحيدا احمل العلـم العراقي لاني كنت يومها وحدي الكشاف والقائد والطبـــاخ والبوقي ، فباركني قداسته !

ومما زاد فى كره موسوليني للعرب ، نقمة دنياهم عليه بعد ان شنق المجاهد الليبي العربي البطل عمر المختار وامر قائده بالقاء جثته من الطائره ..

ثم نقم على العرب والمسلمين لما زار طرابلس وحاول بحركة تمثيلية ان يطلق على نفسه لقب « حامي الاسلام » بعـــد ان قلده مفتي طرابلس المنافق سيفا اسماه هو « سيف الاسلام »

كنت مدعوا مع السيد تيسير ظبيان صاحب جريدةالجزيرة

التي كانت تصدر في دمشق لحضور الاحتفال بتدشين الطريق البري « ليتوراليا » الممتد من الحدود التونسية الى السلوم على الحدود المصرية عبر ليبيا .. .

كيـف طردني موسوليني !

كان اول من احتج على تقليد موسوليني سيف الاسلام ! ومنحه لقب حامي الاسلام هو كاتب هذه السطور .. فلقـد دعانا الى حفلة تكريم السيد عبد الهادي المشيرقي التاجـــر الوطني المعروف في طرابلس الغرب .

والقيت في الحفل خطبة استنكرت فيها حركة المفتـــي واستهجنت تقديم سيف الاسلام الى موسوليني وشجبت لقب حامي الاسلام الذي اعطي لموسوليني . ظلما وعدوانا ..

وذكرت الحفل بالشهيد الليبي العربي الخالد ! فهل يجوز منح لقب حامي الاسلام لقاتل المسلمين ؟

وطلبت الى الحاضرين الوقوف دقيقة حدادا على الشهيـد العربي عمر المختار .

وانفرط عقدنا وذهبت الى فندق المهاوي الجميل الذي بني لمناسبة هذا الاجتفال بزيارة موسوليني وكان ذلك سنة ١٩٣٧

وقبل ان اهيىء نفسي لتناول العشاء جاءني ضابط بوليس ايطالي ، وقال انت يونس بحري ؟

قلت : نعم ، فقال احزم حقيبتك وتعال معي .

عرفت توا السبب .. فلقد بلغوا موسوليني نص خطابـي فأمر بابعادي من ليبيا الى اقرب بلد .. فذهبت الى تونس .

هتلـر وموسوليني

كان الزعيم هتلر يحب موسوليني ويعتبره زميلا موازيا له

..باعتبار كون الحركتين الفاشيستيه والنازية قامتا فى وقت واحد ، ومن اجل غاية واحدة . وهدف واحد .

وكان وجه الشبه بين الاثنين عظيما جدا ، مع فارق بسيط هو ان هتلر اكثر هدوءا واتزانا من صنوه الدوتشي .. الذي كان يحب الظهور بالمظهر المسرحي الايطالي « تياتراليتا ايطاليانا»

ومع ان الدوتشي اكثر الماما بالتاريخ والمعرفة العامة ، فان الفوهرر كان يمتاز عليه بالدقة فى الحديث وضبط النفس .. والتفكير قبل التفوه باي شيء .

لقد كان موسوليني معلما وصحفيا اشتغل قبل ذلك كما يروي عن نفسه بمذكراته عاملا لنقل الحجارة فى جنيف حتى انه حاول الانتحار فيها بالقاء نفسه فى بحيرة جنيف تخلصا من شظف العيش وقسوة الحياة .

وكان هتلر بدوره عاملا يطلي الجدران بالاصباغ فى بلاده النمسا ...

ثم صار عريفا فى الجيش الالماني واشترك فى الحرب العالمية الاولى .. ولما جرح واصيب فى المثانة وسرحته فرنسا من الاسر بعد الحرب . راح يشتغل بالرسم فى مونيخ . وهناك التقى بصديقه الهر هيس وراحا يبشران معا بمبادىء الاشتراكية الوطنية فى سراديب مطعم « بورغر بروي كيلر » الذي اتخذه هتلر مقرا له . وقد اصبح اليوم كعبة الزائرين من مختلف الملل والنحل .

وكان موسوليني على نقيض هتلر ، فهو لا يحب هتلر لسبب واحد وهو ان شهرة الفوهرر العالمية قد طغت على سمعته .. وصار اسم زعيم المانيا يتردد على كل لسان .

لم تخف عاطفة موسوليني على هتلر ، ولكن مصلحة

« المحور » كانت تقضي بالتغاضي ...

سأنظف جزمتي بعد الحرب

واذكر مرة عندما القى الزعيم هتلر خطابه التاريخي يوم دخوله باريس ظافرا من تحت قوس النصر فى ساحة الايتوال عبارة قالها للمريشال كايتل الذي جاء يجبره كيف ان الجيش الفرنسي قد رد جيش موسوليني على اعقابه فى جبال الالب الايطالية ودخل الاراضي الايطالية فى ذلك اليوم الذي دخل فيه هتلر على راس جيشه باريس .

تجهم وجه هتلر وبحركة لولبية ضرب جزمته بيده اليسرى وقال : مسكين الدوتشي ! سأنظف جزمتي بعد الحرب !

ويشير الفوهرر بعبارة « الجزمة » الى خريطة ايطاليا الشبيهة بالجزمة الطويلة التي يلبسها عادة الجندي الالماني..

عودة الدكتور غروبا

عاد الدكتور فريتز غروبا وزير المانيا المفوض فى بغداد وجدة الى برلين وهو يحرق الارم غيظا على حكومة بغداد ، ليس لانها قطعت علاقتها مع المانيا تضامنا مع حليفتها بريطانيا التي اعلنت الحرب على الرايخ .. بل لان الحكومة العراقية القت القبض على الرعايا الالمانيين الموجودين فى العراق وسلمتهم الى الحكومة البريطانية التي قامت بنفيهم الى الهند حيث اقاموا فى معتقلات الاسر طول مدة الحرب ..

كان الدكتور غروبا من اشد الديبلوماسيين الغربيين ايمانا بضرورة التعاون مع العرب ، فلقد ايقن هذا الديبلوماسي الالماني بعد طول عمله فى بلاد العرب بأن التعاون مع العرب هو

خير عامل للاستقرار فى الشرق الاوسط ، ومساعد على ازدهار بلاد العرب ، فيكفي المانيا ما تحتاجه من المواد الخام ، والنفط بصورة خاصة ..

وكان للدكتور غروبا وهو من المدرسة الديبلوماسيين الحديثة خصوم اقوياء فى وزارة الخارجية الالمانية وعلى رأسهم فون ريبنتروب وزير الخارجية وهو زوج ابنة ملك «الشامبانية» الالمانية ايضا ...

ومن اهم خصوم الدكتور غروبا البارون فون هنتيك رئيس قسم شؤون الشرق الاوسط فى « ويلهلم شتراسه » وكان بوصفه من النبلاء الالمان ومن المدرسة البسماركية فقد جعل الكونت ريبنتروب النبيل ايضا تلميذا مطيعا له يستمع لنصائحه وارشاداته .. ويشغل البارون هنتيك اليوم منصبا خطيرا لدى بلاط الملك سعود فى الرياض .

انتصار غروبا

على ان تمسك فون ريبنتروب بخصومته للوزير غروبا لم تحل دون وضع غروبا فى منصب رئاسة قسم شؤون الشرق الاوسط ..

فلقد كان الدكتور غوبلز واعوانه بوزارة الدعاية الالمانية التي تمركزت فيها قوى الرايخ الخارجية يكرهون فون ريبنتروب شخصيا وسرا .. وفى الوقت نفسه كان يتعاون معه رسميا .. ثم كان يتحاشى الانفراد به شخصيا ! والدكتور غوبلز من اشد المعجبين بالدكتور غروبا الذي كان يزوده بانباء وصور من مختلف انحاء العالم العربي مع تقارير صادقة عن تعدد الميول والاتجاهات السياسية والدينية فى دنيا العرب .

ومن اجل ذلك كان الدكتور غوبلز يحرص على ان يكون الخبراء فى الشؤون الدولية بوزارة الخارجية الالمانية من اصدقاء او من الذين يعتقد بصلاتهم للعمل .

سمعت مرة من الدكتور روت المراقب للاذاعة العربية وصفا نقله عن لسان الدكتور غوبلز يصف فيه فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ بقوله : ان تاجر الخمور هذا لا يصلح لشيء .. اللهم الا « سكران مزمن » فقد جعل من وزارة الخارجية الالمانية اداة للخسران !

ويضيف غوبلز الى ما تقدم قوله :

— ان ما يكسبه الجيش الالماني من انتصارات تخسرنا اياها وزارة الخارجية بفضل وجود هذا السكير .. على راسها

صديـــق العـــرب

صار تعاون العرب الموجودين فى برلين مع الالمان سهلا ميسورا ، بل ومستحبا ايضا بسبب عودة الدكتور غروبا الى برلين وتسلمه المنصب الرفيع بوزارة الخارجية ، فلقد زالت الموانع التي كانت تحول دون الاتصال لخدمة المصلحة المشتركة بين العرب والمانيا .

لقد كنا نحارب من رجال الخارجية الالمانية وكأننا اعداء .. وقد سبق ان اشرت فى اول الكتاب الى الخلاف الذي استفحل بيني وبينها من اجل عبارة « اليهود المجرمين » فى اذاعتي العربية ومحاولتها منعي من اذاعتها .. كأن المانيا هي حليفة لليهودية العالمية وحاميتها ..

واستطعت بمساعدة الدكتور غروبا ان اجعل مناهج اذاعتنا العربية تبث خمس مرات فى اليوم .. ساعة فى كل مرة

الاذاعات الاربع .. والاذاعة الرئيسية المسائية على الساعة السابعة كانت مدتها ساعت ونصف ساعة .

واستحالت الوجوه المكفهرة التي كانت تقابلنا فى ويلهلم شتراسه « وزارة الخارجية » الى وجوه باسمة وعريضة فى الابتسام ..

ورحت اشرك الشباب العربي المثقف فى مختلف الاذاعات يصولون فيها ويجولون .. ويدافعون عن العروبة وحقها الهضيم صراحة وعلى رؤوس الاشهاد . خاصة بعد ان افلحت فى الغاء الرقابة التي كانت مفروضة علي من قبل البارون فون هنتيك نكاية بالدكتور غروبا لانه كان من اعز اصدقائي القدامى.

ان هؤلاء الذين وضعوا العصي فى دواليب الاذاعة العربية وحاولوا عرقلة جهودي لصالح المانيا والعرب .. لم يكونوا ينظرون الى واقع الامر بالنظر الثاقب الرامي الى تقوية المانيا واصلاح رأي العرب بالزعيم هتلر .. بل كانوا ينظرون الى الاذاعة العربية نظرة محدودة ضمن نطاق الكيد الشخصي .. للتخلص من كل اداة تقوي وجهة نظر خصمهم الدكتور غروبا !

ان فى المانيا كما فى غيرها من البلاد اشخاصا لا ينظرون الى الاشياء اكثر من بعد انفهم عن وجههم .. لغرض فى نفس يعقوب قضاه !

ولكن الدكتور غروبا لم يكن من الطينة التي لوثها الغرض الاعمى ! فلقد كان المانيا اصيلا قبل ان يكون نازيا .. فهو لم ينتم الى الحزب النازي ، بل عمل لمصلحة المانيا كصديق للعرب فى بلاد العرب . الامر الذي جعل وجهة نظره تنتصر فى نهاية الامر ..

استاذ الأثير !!

لما استسلمت فرنسا والقت السلاح امام الفوهرر ، وعقد المريشال بيتان الهدنة مع هتلر ارسلت المانيا لجنةلتنفيذشروط الهدنة الى سوريا ولبنان والمغرب العربي .

وكان رئيس اللجنة الموفدة الى سوريا ولبنان البارون فون هنتيك عدوي اللدود ! وقد صحبه لاداء هذه المهمة الدكتور فيصل شيخ الارض كمترجم عربي محلف ..

واستقبل فون هنتيك الالوف من السوريين واللبنانيين ، وراح يسأل كل شخص يقابله عن تأثير الاذاعة الالمانية باللغة العربيـة !!

فكانت الاجوبة بمجموعها بانها سيدة الموقف . وان يونس بحري ولا فخر هو السبب ..

ولما عاد فون هنتيك من سوريا ولبنان طلبني فى مكتبه بوزارة الخارجية الالمانية وقال لي وهو يصافحني لاول مرة فى حياته « يا استاذ » ، قالها باللغة الفرنسيـة ولا ادري لماذا ؟

اما عبارته بالفرنسية فكانت « فوزيت لومتر ديل ايتر » يعني انت استاذ الاثير !!

حيّ العرب ...
وتأثيرها في دنيا العرب !

— ٥ —

راديو يونس بحري !

فى الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة التي انعقدت في باريس عام ١٩٤٨ حيث كنت اصدر جريدتي «العرب» فى العاصمة الفرنسية اجتمعت لاول مرة بعد الحرب بالمغفور له الامير عادل ارسلان وفارس الخوري الذي لقبته بفارس العرب وتناولت معهما الطعام على مائدة السيد ظفر الله خان وكان وزيرا لخارجية الباكستان فروي الامير عادل ارسلان لنا قصة عن راديو برلين شهدها بنفسه فى حلب بسوريا قال :

جاء اعرابي الى تاجر يبيع اجهزة الراديو وطلب اليه ان يبيعه « راديو يونس بحري » ويقصد بذلك راديو برلين باللغة العربية ... وظن التاجر ان الاعرابي يعرف الموجة فبلعه جهاز اذاعة تلفونكن الالماني القوي ..

ولكن الاعرابي لم يكن يعرف الموجة بالضبط .

فجائه الاعرابي فى اليوم التالي صاخبا معربدا وقال له انت تضحك علي ؟ اعطني راديو « يونس بحري السوري » مهما كلف الثمن .. اذ انني لم اعثر على يونس بحري فى هذا الراديو !.

وفطن التاجر الذكي الى النكتة .. ووضع ابرة الاذاعة على موجة اذاعة برلين العربية وقال له : اذهب فانت الان مع يونس بحري !.

وذهب الرجل .. وعاد فى اليوم الثاني وهو يشكر التاجر المعتبر على هديته الثمينة التي اشتراها بثمن مضاعف.. دفعه وهو حامد شاكر !

ابو عفيف كريديه

فى يوم ١٧ يونيو « شهر حزيران ١٩٤٠ كان الجنرال ويغان القائد الاعلى لجيوش الحلفاء فى الشرق الاوسط يشهد سباق الخيل فى « ميدان بارك بيروت » وكان السيد ابو عفيف كريدية بطل المظاهرات الصاخبة والاجتماعات الشعبية فى لبنان فالقى فى الساعة الرابعة خطبة امام الجنرال ويغان قال فيها : يا جنرالي العزيز اعطني طائرة اذهب فيها الى برلين لاتيك برأس هتلر !! فى خلال ثلاثة ايام !

وسجلت الالة المرسلة « تيلوتيب » لمراسلنا فى بيروت هذه الخطبة ..

وكان ذلك اليوم هو اليوم الذي احتلت فيه القوات الالمانية باريس .. ووقف الزعيم هتلر يستعرض جيوش الرايخ المنتصرة الظافرة وهي تدخل باريس مقر وطن الجنرال ويغان ...

كنت اعرف « ابو عفيف كريديه » واعرف ظرفه ونكاته. وجيويته وكان المرحوم رياض الصلح يعتمد عليه فى القضايا اللبنانية الداخلية من حيث المظاهرات وكسب الرأي العاموثقته

وفى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ١٧ يونيو ١٩٤٠ اذعت النبأ التالي : ـ خطب اليوم الساعة الرابعة بعد الظهر السيد ابو عفيف كريديه فى ميدان سباق الخيل فى بارك بيروت امام الجنرال ويغان .. وطلب منه اعطائه طائرة ليذهب الى برلين ويأتيه برأس هتلر .. ونحن نقول للسيد ابو عفيف كريديه ان القوات الالمانية قد دخلت باريس اليوم بقيادة الزعيم هتلر ، اجل اليوم بالضبط ، فلا يكلف ابو عفيف خاطره بحضوره الى برلين .. لانني سأجيء الى بيروت قريبا واحمل معي حبلا متينا يستطيع ان يحمل جسم ابو عفيف كريدية الضخم لشنقه ، فى ساحة البرج المعروفة بساحة الشهداء ...

ولما اذيع النبأ من اذاعة برلين العربية كان ابو عفيف كريدية قد انتقل من الحرشر ميدان السباق الى البسطة ..

وفى مقهى البسطة الذي اعتاد ابو عفيف الجلوس فيه ليدخن الارغيلة .. تغامز عليه الناس .. وقالوا له انك خطبت اليوم تريد طائرة للذهاب الى برلين والمجيء برأس هتلر .. فما قولك ان الالمان قد احتلوا باريس اليوم ؟؟ وان يونس بحري اذاع بانه سيفد على بيروت وسيحضر لك معه حبل متين لشنقك فى ساحة البرج فى بيروت .. لان هتلر احتل اليوم باريس !

فما كان من ابو عفيف الا ان صاح مولولا : مذهولا الله يخرب بيت « الفرنساويين » « ما ضاينوا » « ثبتوا » من

الحرش الى البسطة .. اي ان الفرنسيين لم يثبتوا امـــام الالمان اكثر من المسافة الكائنة بين ميدان سباق الخيـل فـي الحرش .. الى البسطة في بيروت ! حيث كان ابو عفيـــف يدخن الشيشة على ذكرى راس هتلر ..

اللجنـــة العربية

.. وعلـى اثر الانتصار الالماني الساحق في الجبهة الغربية واحتلال الدانمرك وهولندا والبلجيك ولوكسمبورغ وفرنســا اخذ الدكتور غروبا يفكر جديا في تأليـف لجنة عربية تأخـذ على عاتقها تنظيم العلاقات بين المانيا والبلاد العربية . خاصة بعد ما وردتنا تقارير مختلفـة من فلسطين والاردن ومصـر وسوريا ولبنان والعراق . تفيـد بـأن التذمر مـن الحكومات والسلطات القائمة فيها قد بلغ اشده . وان بريطانيا وفرنسا تحاولان عبثا جر الدول العربية الى دخول الحرب ..

فتألفت اللجنة العربية على الوجه التالي :

السفير بروفر رئيسا

معاون امين سر الدولة مدير السياسة الخارجية هرفورمان

مدير القسم الشرقي الدكتور غروبا مديرا للجنة

معاون مدير القسم الشرقي هرملشرز مستشارا

مدير القسم العربي للجيش الرئيس الاول فون ستولزه

مدير قسم الصحافة العربية الهر شتيفن مقررا

مدير الاذاعة العربية يونس بحري عضوا مراقبا .

المحور والعرب...

ماذا ارادت المانيا؟ موسوليني ضد هتلر

-٦-

من المؤكد ان المانيا كانت تعتبر الشرق العربي دعامة رئيسية في سياستها القائمة على اساس مشروع هتلر في مجاله الحيوي .. « ليبنس راوم » .

وعلى هذا الاساس شرعت اللجنة العربية الالمانية بالعمل !

ولما كان العراق الهدف الرئيسي لدعم سياسة المجال الحيوي الالماني ، فلقد اتصلت اللجنة العربية بواسطة فون بابن سفير المانيا في انقره وكلفته بأن يعرض على الوزير العراقي المفوض المرحوم السيد كامل الكيلاني شروط المانيا للصلح مع العراق .

وبالفعل راح فون بابن يفاوض الوزير كامل الكيلاني على اساس اعادة العلاقات الديبلوماسية بين المانيا والعراق . وان يكون للمحور من التفضيل في التعامل الاقتصادي وتحويل امتياز النفط العراقي من شركة النفط البريطانية الى شركة

المانية ايطاليــة .

وكان من اهم شروط العرض احتفاظ العــراق بالحيـــاد التام فى هذه الحرب وحمل البلاد العربية الاخرى على التمثــل بالعراق فى سياسة الحياد .. والسعي للقيام بثورة جديدة فى فلسطين ضد اليهود والبريطانيين .

موسوليني ضد هتلر

لقد كان موسوليني يطمع ببسط نفوذه علــى تونـــس والجزائر ومصر وفلسطين ، وكان من اجل ذلك يقرب اليــه زعماء هذه البلاد ويستميلهم اليه . فموسوليني لم يعلــن الحرب على فرنسا قبل تسليمها بعشرة ايام الا بغيــة فرض ارادته على هتلر لاقتسام مخلفات فرنسا فى تونس والجزائــر والزحف على مصر من ليبيا لاجتيـــاح مصر وفلسطـــين واحتلالهما .

وبالفعل قرر موسوليني الهجــوم على الجيــش البريطانــي الثامن من الصحراء الغربية .

كان هتلر ينظر بعين التخــوف والاستيــاء الــى غـــرور موسوليني ، كما ابدى امتعاضه الشديد من اقدام موسوليني على اعلان الحرب على فرنسا وبريطانية ..

ولكن الدوتشي باعلانه الحرب على الحلفاء وضع الفوهــرر امام سياسة الامرالواقع،وكان علىهتلر ان يتحمل وحدهالنتائج السيئة الخطيرة التي احدثها موسوليني بسياسته المستوحاة من مشاريع زوج ابنته « ادا » الكونت تشانو وزير خارجيــة ايطـــاليـــا ..

وكانت اللجنة العربية الالمانية قد درست جيــدا مقدمات

سياسة موسوليني ونتائجها الوخيمة على المحور فقامت بالاتصال سرا وبصورة مباشرة بالعرب .

قضية المغرب العربي

فى شهر اغسطس ١٩٤٠ بعد القاء فرنسا السلاح كتب لي المغفور له الامير شكيب ارسلان رسالة من جنيف اخبرني فيها بوجود السيد احمد بلفريج الامين العام لحزب الاستقلال المراكشي فى جنيف وان الحزب قد فوضه ليكون مندوبا عنه للحضور الى برلين لمفاوضته المسؤولين الالمان فى امر اعلان استقلال مراكش . وعرضت الامر على الدكتور غروبا ورفاقه فكلفوني باستدعاء الامير شكيب ارسلان ليشرح لهم قضية المغرب العربي بمجموعها وبعد ان يستوعبوا تفصيلاتها ودقائقها تبدأ المفاوضة مع مندوب مراكش ..

وابرقت للامير شكيب طالبا حضور الى برلين . وبعد يومين كان رحمه الله يشرح للدكتور غروبا حقيقة الوضع ولزوم التعجيل بحل قضية المغرب العربي والمفاوضة مع مندوب مراكش السيد احمد بلفريج وقد ايدت رأي « ابو غالب » صراحة وابديت مخاوفي من مطامع موسوليني فى افريقيا الشمالية وفى مصر وفلسطين ! وقلت ان اي انتصار تحرزه جيوش موسوليني فى مصر فانه سيزيد موسوليني غرورا وطمعا ويجعله يبادر فى الحال بضم تونس الى ليبيا المحتلة لان حركة الجنرال ديغول لم تك تتعدى الدعاية من راديو لندن يومئذ .. وان القوات الفرنسية المرابطة فى تونس تافهة ولا تستطيع مقاومة جيوش موسوليني .

مندوب حزب الاستقلال

وبعد ان اقتنعت وزارة الخارجية الالمانية باقوال الامير شكيب وباقوالي رجوني ابستدعاء السيد احمد بلفريج.. ووصل الى برلين وحل ضيفا مكرما علينا .

لقد كان مندوب حزب الاستقلال المراكشي صديقي منذ سنة ١٩٢٧ حيث كنا فى باريس مع السادة محمد الفاسي والحسن الوزاني ، فلقد افهمته سرا ان يحذر الالمان الذين سيجتمع بهم من مطامع ايطاليا الفاشيستية فى المغرب العربي وخاصة ان فرنسا هناك فى غاية الضعف بعد احتلال الالمان نصفها الشمالي .. وان وجود مئة الف ايطالي فاشيستي في تونس يسهل اجتياح قوات موسوليني لتونس فالجزائر فمراكش بدون مقاومة تذكر . بعد ان انكسرت معنوية الفرنسيين .

وقدمت السيد احمد بلفريج الى الدكتور غروبا بوزارة الخارجية وراح يشرح له تطور القضية المراكشية ومطالب اهلها العادلة المشروعة بالحرية والاستقلال ضمن نطاق التعاون مع فرنسا اقتصاديا وثقافيا مع اعطاء فرنسا حق الافضلية فى التعامل الاقتصادي والانشاء والتعمير .

اعجب الدكتور غروبا بحجة السيد احمد بلفريج وقوة براهينه ولباقته وقال له ان مراكش على حق فى طلبها الاستقلال ، وانا اعتقد ان من مصلحة فرنسا وهي فى وضعها الراهن ان تعترف باستقلال مراكش .

واقمت حفلة استقبال كبرى فى فندق كايزر هوف الفخم الذي تسلم فيه هتلر مقاليد حكم الرايخ الالماني من الماريشال

فون هندنبرغ على شرف السيد احمد بلفريـج حضرهـــا فون ربنيتروب والدكتور غوبلز والدكتور روزنبرغ وامـــين سر الدولة الاول لوزارة الخارجية فون وايتزيكـر ومديـــر السياسة الخارجية الهر هوفمـان والبارون فـــــون هاردر رئيس ديوان روزنبرغ وزير الدولة والسفير بروفـر والجنرال هالدر رئيس القسم الشرقـي فى رئاسة اركـــان القائد الاعلى للقوات الالمانية المسلحة والمايور فونشتولزه مدير الشعبة العربية فى القيادة العليا . والدكتور غروبا وغيرهم من قادة الراي والفكر الالماني .

وكانت حفلة الاستقبال ضخمة فخمة وزع فيها السيــد احمد بلفريج مختلف النشرات والكتب التي احضرها معــه عــن مراكـش تكفي لاعطـاء فكـرة مسهبـة عن هـذا البلد العربي الراقي المتحضر .

وطيرت برقية الى الزعيم هتلـر اوضحـت فيها مطـالب مراكش وحقها بالحرية والاستقلال بعد ان وافق عليها مندوب مراكش ، السيد احمد بلفريج .

وكان السيد البروفسور كروكمان التابع للمكتـب العربي بقيادة الجيش العليا يرافق السيد احمـد بلفريج طـول مـدة مكوثه فى عاصمة الرايخ ، والبروفسور كروكمان كان استاذا بوزارة المعارف العراقية وهو صديق حبيـب يتقن العربيـة كأحد ابنائها ، وقد وجدنا نحن العرب المواطنين ببرلين منـه عونا سنذكره له بالشكر والتقدير .

موقـف سلطان مراكش

وبعد ان مكث مندوب حزب الاستقـلال المراكشي فى برلين

زهاء اربعين يوما غادرنا بعد ان قيل له ان موضوع استقلال مراكش سيقرر عندما توضع معاهدة الصلح مع فرنساقريبا . .
كان الاستاذ عبد الرحمن ياسين يشرف على الاذاعة المغربية التابعة للاذاعة العربية ببرلين وهو تونسي الاصل ولكنه يحمل جواز سفر للمنطقة الخليفية من مراكش . . وكان نشيطا جم الحركة يتقن اللغة الفرنسية والاسبانية والايطالية .
وقررت وزارة الخارجيةالالمانية بناء على اقتراحي استخدام الاستاذ عبد الرحمن ياسين كرسول خاص لها الى الرباط والاتصال بالسلطان .
وسافر الرسول الى مدريد فطنجة بالطائرة ومنها بالسيارة الى رباط الفتح . .
وصار الرسول يروح ويغدو سرا الى مراكش بطريق اسبانيا . .
وبعد مفاوضات طويلة صرح السلطان انه لا يفاوض الا حكومة فرنسية شرعية . لانه لا يعترف بحكومة فيشي التي يرأسها المريشال بيتان !!
ومع ان هذا الموقف من السلطان محمد بن يوسف عاهل الامبراطورية الشريفية مراكش قد اضاع فرصة ثمينة لمراكش وبقية بلاد المغرب العربي الجزائر وتونس فأن الفرنسيين المعارضين لسياسة بيتان قد حفظوا للسلطان موقفه منهم وقدروا صلابته وشكروا عمله . . ولكن هؤلاء الفرنسيين بالذات اكرهوا السلطان بالقوة والقسر على ترك بلاده سنة ١٩٥٢ ونفوه خارج بلاده . فكان جزاؤه منهم جزاء سنمار . ثم عادوا فاصلحوا خطأهم فاعادوا السلطان المجاهد محمد الخامس الى عرش مراكش .

لما سلمت فرنسا والقت السلاح امام الفوهرر كان زعماء تونس العربية معتقلين فى سجن بور سان نيكولا فى مرسيليا داخل المنطقة غير المحتلة من القوات الالمانية بفرنسا .

وذات يوم تسلمت كتابا وردني من تونس خلو من التوقيع والاسم يصف به الكاتب العنت والارهاق الذي يلقاه زعماء تونس ويخبرني فيه بأن زعماء تونس ومعهم الزعيم الحبيب بو رقيبة لا يزالون فى السجن .

وعرفت من اسلوب الكتاب وخط الكاتب انه مرسل من زعيم حزب الاحرار الدستوريين التونسي محي الدين القليبي . فعجبت من هذا الوفاء النادر وقدرت هذه الوطنية الدالة على التآخي والتعاون بالرغم عما كان يعتور سياسة الزعيمين من التفاوت والتنافر ... فالزعيم القليبي كان يدير سياسة حزبه المعارضة لسياسة حزب الدستور التونسي الجديد ، ومع ذلك اقدم الزعيم القليبي على الكتابة الي للسعي لدى الالمان لاطلاق سراح الحبيب بو رقيبة وصحابته زعماء تونس.

لقد كنت اعلم ان صداقة الامير شكيب ارسلان القديمة بموسوليني تجعل الاخير لا يرد طلبا للامير شكيب .. ولما كان موسوليني يتطلع بحرقة وشوق زائدين الى كسب صداقة زعماء تونس لغرض فى نفس موسوليني ، فكتبت الى الامير شكيب ارجوه ان يسعى لدى موسوليني بحسب الدالة التي له عليه ليطلب تحرير الحبيب بو رقيبة وصحابته ..

ولكن الفرنسيين الناقمين على موسوليني لطعنه فرنسا من الخلف باعلانه الحرب عليها بايام قبل انكسارها ما طلبوا موسوليني واشعروه بأن موضوع زعماء تونس المعتقلين بفرنسا امر داخلي ..

كيف اطلق سراح الزعماء ؟

فى سنة ١٩٤٢ عندما دخل الماريشال رومل تونس راجعا القهقرى اثر ارتداده من العلمين عبر الصحراء الغربية وليبيا متخطيا بجيشه « افريكاكور » الالماني خط مارت الفرنسي الفاصل بين تونس وليبيا اعيد النظر فى امر الزعماء التونسيين المعتقلين فى فرنسا وتدخل الشهيد المنصف باي تونس شخصيا لدى المريشال رومل ليسعى لدى القيادة الالمانية العيا التي كانت قد احتلت فرنسا برمتها . فأمرت باطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين التونسيين وهم الحبيب بو رقيبة وصالح بن يوسف ويوسف الرويسي وسليمان بن سليمان والحبيب ابو قفطة والهادي شاكر وعلي الزليطني وعبد الحفيظ الحداد وحسين التريكي والصادق بسباس ورشيد ادريس والهادي السعيدي والدكتور الحبيب ثامر .

وعندما شعر الفرنسيون بالمساعي الجارية من قبل الالمان لتحرير المعتقلين التونسيين نقلوا بعضهم ووضعوهم فى مدينة ترِيس من ضواحي مرسيليا تحت المراقبة الاجبارية . .

اما القسم الثاني من المعتقلين التونسيين فقد نقلهم الفرنسيين الي سجن بقرب مدينة ليون ، وحاولوا نقل القسم الاول اليه ، وعندما شعر الاخوان التونسيين بهذه النية المبيتة لهم احتجوا واحدثوا شغبا فصرف النظر عن نقلهم .

ولاطلاق سراح الزعماء التونسيين قصة طريفة ، فلقد راحت القيادة الالمانية تبحث جاهدة عن المعتقل الذي اودع فيه زعماء تونس بفرنسا وحينما اكتشف المكان ، بعثت القيادة الالمانية سرا قوة من الجنود وهاجمت السجن بعد ان

الجيش العراقي بالاسلحة الالمانية الموعودة بلسان فون بابن سفير المانيا بتركيا .

وابلغت الدكتور غروبا رسالة العقيد محمود سلمان ، فقال لي اخبر الاخوان ببغداد ان الوقت لم يحن للقيام بحركة عسكرية ذات شأن .. لان الزعيم هتلر سيقوم باعجوبة حربية قريبا ستغير وجه التاريخ .. فالرجاء الانتظار .

وكتبت الى بغداد راجيا منهم الانتظار !

رسول قادة ثورة مايس

وفى يوم ١٥ فبراير « شباط ١٩٤١ » وصلتني رسالة ثانية من العقيد محمود سلمان ببغداد يطلب الي التوسط لدى الالمان لقبول شقيقه الرئيس الاول محمد سلمان مندوبا عن قادة الثورة العراقية فى برلين والعمل لحسن وفادته .

قمت بالواجب فى هذا الصدد .

وبعد خمسة ايام كلمني المايور « الرئيس الاول » فون شتولزه مدير القسم العربي بقيادة الجيش العليا هاتفيا راجيا حضوري الى مكتبه .

وقال لي ان الرئيس محمد سلمان مندوب قادة الثورة العراقية قد وصل لشبونة وسيحل علي ضيفا بالنيابة عن القيادة على ان تتولى تعريفه على المسؤولين واعضاء اللجنة العربية الالمانية .

وفى اليوم التالي كنا فى مطار تمبلهوف فى انتظار طائرة الرئيس الاول محمد سلمان .

واستقبلت صديقي محمد سلمان بحرارة ثم عرفته على مندوب القيادة العليا الذين رحبوا به اجمل ترحيب . لقد

كان الرئيس الاول محمد سلمان ضابطا ممتازا وخبيرا ميكانيكيا فى الاسلحة الحربية اثار اعجاب زملائه ضباط الجيش الالماني . وهو اليوم مديرا لشعبة النفط فى الجامعة العربية بالقاهرة .

فشرح لهم كيفية ارسال الاسلحة الالمانية عبر تركيا فى حالة رفض روسيا السماح بمرورها عبر القفقاس الى العراق ، وتم الاتفاق على تزويد الجيش العراقي باحدث الاسلحة .

وعرفت الصديق محمد سلمان بالبارون فون هاردر رئيس مكتب وزير الدولة روزنبرغ المختص بشؤون الشرق وروسيا . وبعد برهة ادخلناه على فيلسوف الحزب النازي وزير الدولة روزنبرغ وبحث معه الوضع فى العراق والبلاد العربية الشقيقة اقتنع روزنبرغ بحديث محمد سلمان واهميته من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية . واهدى روزنبرغ آلة تصوير « لايكا » كذكرى لهذه الزيارة ، واهداني آلةتصوير لايكا ايضا وكانت افضل بدرجة من الالة المهداة للصديق محمد سلمان ، والظاهر ان وزير الدولة روزنبرغ اخطأ فى الاهداء فاعطاني ما كان ينبغي ان يعطيه لمحمد سلمان . .

وبقيت عين محمد سلمان عالقة بالالة فكان يلح فى ابدالها معي .وكنت ارفض بعناد !

وتشاء الاقدار ان نجتمع بعد ١١ سنة من ذلك التاريخ فى دار الشورى عند المجاهد العربي محمد علي الطاهر بالقاهرة سنة ١٩٥٢ وكنت واضعا هدية روزنبرغ التاريخية ورائي على النافذة فلمحها الصديق محمد سلمان وهو يقبلني مهنئا بسلامة الوصول والخلاص . ومن فرط التأثر نسيت آلة التصوير الثمينة ! فخطفها محمد سلمان سرا وذهب وهو

يضحك .. فقلت ماذا يضحكك يا اخا العرب والسلاح .
قال سترى لماذا بعد قليل .. وانصرف !
ولما هممت بالانصراف التفت لحمل آلة التصوير فوجدتها مفقودة .. ورحت اسأل الحاضرين وكان بينهم المجاهد الدكتور الطيب ناصر عن الالة ؟ فكان جوابهم ضحكا متواصلا!!!
الان فهمت لقد اختطفها محمد سلمان .. لقد وفى بوعده انه سيأخذها .. وها قد مضى على ذلك الوعد ببرلين ١١ عاما ..

تجنيد الشباب العربي

لقد وضعنا بالاتفاق مع اللجنة العربية مشروعا لتجنيد الشباب العربي المثقفين الموجودين فى المانيا . ووجهت نداء الى الشباب ليتطوعوا جنودا فى فرقة عربية خاصة تدرب على القيام بمختلف الاعمال الحربية ، واخذ الدكتور علي الصافي على عاتقه مهمة تنظيم فرقة المتطوعين .

وعقدنا اجتماعا في مطعم كبير بشارع كانت شتراسه القيت فيه خطابا افتتاحيا شرحت فيه الاسباب الموجبة لتأليف الفرقة العربية التي ستكون نواة لجيش عربي متحد ، كما أن مهمة رجالها ستكون ايضا ايجاد ضباط ارتباط بين الجيش الالماني والجيوش العربية ثم يتولون تدريب الجيوش العربية على استعمال الاسلحة الالمانية المختلفة .

والحق فان جميع الشباب العرب تطوعوا للانضواء تحت رايةالفرقة العربية التي اخترناها علىانتكون راية العراقالمربعة الالوان شعارا لها .

وسافر الشباب العربي المتطوع الى ميادين التدريب في

ضاحية مدينة دورن على الحدود الهولندية البلجيكية . ووضعت القيادة الالمانية على اليد اليمنى لكل متطوع « العلم العراقي العربي » كتب فوقه باللغتين العربية والالمانية « فراي ارابيان » اي العرب الاحرار .

ولم يتخلف احد عن التطوع الا اعضاء هيئة الاذاعة العربية لاننا جندنا انفسنا للعمل آناء الليل وكل النهار فى الاذاعة بدون انقطاع .

الجنرال ملابس والجنرال جوع

لقد كان نظام التقنين فى توزيع بطاقات المواد الغذائية دقيقا للغاية .. ولكن هذا النظام القاسي هد حيلنا وقوانا ، فاصيبت بطوننا بالخور الشنيع ونقص وزني فى خلال سنة واحدة من ١١٦ الى ٦٥ كيلو غراما ..

وعلى ذكر الغرام .. فلقد ازداد الغرام زيادة عنيفة في برلين والمانيا جعلت الرجال يخافون ان يمشوا على انفراد فى الليل .. فلقد كانت فتيات الشبيبة الهتلري يهجمن على المارة لاقتناص الرجال .. ذلك لان الشباب قدسيق بمجموعه الى ساحات القتال ، ولم يبق فى المانيا الا الكهول والشيوخ الذين لا يشبعون نهم الفتيات العارمات الفاتنات !

لقد كان نصيب الفرد من الخبز يوميا ٢٥٠ غراما .. ومن اللحم ٥٠ غراما فى الاسبوع .. وزال الارز من عالم الوجود . واختفت الفواكه من الاسواق . وكان البعيد الذي يجد تفاحة يلتهمها بشراهة مخيفة بينما كان نصيب الفرد من النساء عشرا او عشرين امرأة ؟

اما الدخان فكان نصيب الفرد منه ٣ سكائر للرجال

وسكارتين للنساء !

وتقدم المطاعم وجبة موحدة من الطعام وهي كمية من الخضر العديدة الاشكال تسلق بالماء وتتراقص فوقها فقاقيع غير مرئية من شحم لا يعرف كنهه ! ويسمون الوجبة « شتام غريشت » .

الاثمان زهيدة للغاية «مارك واحد» لوجبة الطعام . والوجبة تتألف من صحن شوربا « سلاري » والسلاري هو نوع من « السلق » يطبخونه على عدة اصناف ! فهو يقدم كسلاطة وشوربا ومسلوق .. او مقلي بشحم الخنزير .

لقد اهلكتني وجبة طعام « شتام غريشت » وهي وجبة الطبق الموحد .. اذ انني سئمت اكل البطاطا المشوية والمقلية بشحم البقر الذي كان الكيلو منه يباع بسعر عشرة جنيهات ! وذهبت الى الدكتور غروبا اشكو صحتي المتدهورة ، وقلت له انني اذا بقيت على هذه الحالة فان صوتي سيخفت ولن استطيع الاستمرار بالاذاعة من شدة الجوع .

رجل كتسعة رجال !..

وفي اليوم التالي طلبني الدكتور غروبا وقال لي: تفضل وهو يمدد يده الي بمغلف ثم قال افتحه .. ولما فتحته فاذا هو يحتوي على بطاقات اكل لتسيعة اشخاص بالضبط ! وعلى بطاقات للدخان تتضمن ٥٠ سيكارة في كل يوم !!

وقال انك ستأخذ هذه الكمية في كل يوم اعتبارا من الان فصاعدا ..

قلت ان تقنين الملابس قد اهلكني فان بدلة شتوية واحدة وبدلة صيفية واحدة لا تكفيني خاصة وانني لا املك ملابس

اضافية بسبب فراري من بغداد كما تعلم بدون ملابس ولا هم يفرحــون !

قال سأدبر الامر كما تريد .

ولما هممت بالانصراف وانا اشكر الدكتور غروبا على حسن عنايته ورعايته لانه جعلني اعادل تسعة رجال فى الاكـــل والشراب .. قال لي : لقد امر الدكتور غوبلز مديـر نـادي الصحافــة الاجنبيــة ان يجعل تحت تصرفك انت وضيوفك « بار النادي » ومطعمه بدون اجر .

اعتبرت هذا التوفيق اعظم نصر كسبته وانا فى المانيا .

وكان كلما وفد علينا ضيف عربي كبير اعطى كميات لا تعد من بطاقات اللحم والزبدة والشراب لادعو الضيوف الاعــزاء الاماجد الى افخم الفنادق والبــارات اغــدق عليهــم ممــا انعم الله به علــي .

وصار زملائي فى الاذاعة العربية يدعون اللــه ان يفد علـى برلين كل يوم ضيف عزيز..لينعموا معنا باللذائذ والخيرات .

الباحثــات عن الرجــال !

لقد اندفع الشباب العربي الباقي ببرلين والمانيا فى مغازلــة الغيد الحسان . وما كان عليهم الا الجلوس فى المقاهي والمشارب لتصطادهم الفتيات .. ولم يكتفوا بهذا بل راحوا يساومونهن اذا ما آنسوا فيهن ثروة ورخاء على الحصول على بطاقــات اللحم والزبدة والسكائر لقاء مغازلتهن .. وكانوا يسألونهن عن مهنتهن .. فاذا كانت الفتاة صاحبة مطعم او جزارة او خبازة او بائعة فى مخزن للحوم والخضر والفواكه المحفوظة فان حظها يكون كبيرا فى الفوز بالشباب العربي الناهض !.

ولما كانت الفتاة الالمانية تبحث عن الرجل الذي يعجبها لا عن مال ولا استغلال ، فانها تدخل فى حديث مباشر معه ينتهي بان تطلب مرافقته الى بيتها او بيته لشرب فنجان من القهوة الحقيقية وليست من « الايرزاتس » المغشوشة !

وهكذا لعب الدخان والقهوة دورا رئيسيا فى المانيا ابان الحرب العالمية الثانية فى التبادل النوعي والجنسي ..

فكانت كل خمس سكائر تقدمها الى اللحام تسمح للشاب بالحصول سرا على نصف كيلو من اجود اصناف اللحوم ..

كما ان ٥٠ غراما من القهوة تمكنك من الحصول على نصف كيلو من الزبدة النقية الشهية !

وخمس سكائر مع فنجان قهوة تفسح لك المجال للقضاء لبانة مع اجمل فتاة فى البلد .

ان الحرب تثير الاعصاب .. فكيف بالغارات الجوية الليلية والقنابل المتفجرة والمحرقة التي تجعل الاعصاب كآتون من نار فتهتاج الفتاة بصورة تخرجها من دائرة التعقل ، فيستبيح الرجل المرأة وتستبيح المرأة الرجل ، خاصة وان احدا لم يكن يعرف ما هو مصيره غدا او بعد ساعة..او فى التو واللحظة .

المحكومون بالاعدام

لقد كنا منذ عام ١٩٤١ فى المانيا عامة وفى برلين خاصة كالمحكوم عليهم بالاعدام .. نبيت على وقع القنابل ! ونصبح عليها .. والجو يعبق بالدخان . وصفارات الانذار من الغارات الجوية يكاد إن لا ينقطع .

جاءني السيد احمد عبد الرزاق وهو من شباب بغداد الظرفاء وكان يشتغل معي فى الاذاعة وقال لي وهو يضحك

ويقهقه ويقول : لقد تزوجت ابنة لحام « قصاب » وتعرفت بتاجرة دخان . . وفتح حقيبة صغيرة مملوءة بعلب سكائر « نورث ستيت » الزرقاء والحمراء المعدودة من افخر انواع الدخان الالماني من صنع هامبورغ .

قلت اهنيك بزوجتك ابنة اللحام فهي لك . . ولكن ارجوك ان تعرفني على تاجرة الدخان !! وقدمني اليها قائلا : رئيسي الدكتور بحري . .

وشد على كلمة « هر دكتور » لان الالمان يحبون حملة الالقاب العلمية . وتطلعت السيدة بوجهي بعد ان القت على مجموعة جسمي نظرة فاحصة ثم ابتسمت ومدت يدها الى رزمة كبيرة من سكائر نورث ستيت ولفتها بسرعة بجريدة « برلينر تسايتونغ » وسلمتني اياها بعد ان دفعت ثمنها الرسمي .

كانت السيدة الكريمة قد فارقت العقد الرابع من عمرها المديد بمرحلة قربتها من الخمسين . . . وعليها مسحة من اثر الجمال الغابر قد يشتهيها الانسان بعد سجن دام عشرة اعوام . .

ولكن ما العمل والدخان فى برلين من اهم العوامل التي تتيح للانسان حياة تقرب من الحياة الطبيعية فى زمن السلم . . فكان لزاما علينا التضحية ونكران الذات ولو لبضع دقائق . .

ان الالماني كالعربي البدوي القائل « طالما لدينا قهوة ودخان فأن كل الامور تهون . . »

وكان من يملك فائضا من الدخان يستطيع ان يستبدله بلحم او فواكه او زبدة او ملابس او احذية . لقد كانت هذه الاعمال منافية للقوانين الصارمة الموضوعة لحماية نظام

البطاقات ، فمن يقبض عليه من المقايضين والمتبادلين ويسمونهم « هامسترر » اي محتكرين ... يعدمون فورا وبدون محاكمة ..

ومن اجل ذلك كانت المبادلات تجري سرا وبسرعة البرق الخاطف .

وكثيرا ما كنا نتفق مع العملاء على وضع « البضاعة » في مكان ما بين الخرائب والانقاض ثم يأتي العميل فيأخذ البضاعة ويضع محلها بضاعته !

وقد حصلت مرة على خروف بأكمله بخمس علب سكائر ثمنها ربع جنيه . وفى اثناء عملية الذبح والسلخ بين انقاض الدار التي كنت اسكنها فى شارع رنكه شتراس ببرلين مر احد رجال البوليس السري « زيشرهايت دينست » حفاظ الامن ..

جمد الدم فى عروقي .. وقلت فى نفسي انها ستكون القاضية . وبقيت انتظر وضع الاغلال فى يدي !

واشار لي حافظ الامن بيده قائلا استمر بعملك!! سأراقب لك الطريق .

وبعد ان قطعت لحم الخروف قطعا منظمة كما يفعل اي جزار بارع قدمت لحافظ الامن فخذا بكامله فلم يكد يصدق عينيه ... وهجم علي يقبلني شاكرا وهو يردد قائلا: ان الاولاد سيصلون من اجلك ! لانهم لم يشبعوا لحما منذ سنتين ..

من اين لك هذا ؟

كنا نقضي اوقات الفراغ القليلة ليلا فى مقهى فيينا « كافي فيين » لانه المقهى الوحيد الذي ابقت عليه الغارات الجوية

فى شارع كورفورستندام ..

وذات ليلة شاهدت احد الشباب العربي الاردني يروح ويغدو امام واجهة المقهى وهو يترنح من شدة الشرب .. وجعل يتحرش بالرجال ويشتمهم !

ولما جاء رجل البوليس ليمنعه ويدخله المقهى ، راح يشتم الزعيم هتلر بصوت مسموع . فما كان من رجل البوليس الكائن على مقربة منا الا ان القى القبض عليه .

ان شتم هتلر ، بل مجرد ذكر اسمه بلهجة التحقير كان جريمة كبرى ان لم يستحق الشاتم الاعدام رميا بالرصاص فالسجن المؤبد مع الاشغال الشاقة !

ولما كان الشاتم العربي الثمل من الاصدقاء الاعزاء فاقد قصدت مخفر البوليس ودخلت على مفوض الامن الهر شتولب وكان من الاصدقاء ايضا ...

رحب بي المفوض ورجاني الجلوس الى جانبه . وكان الشاب العربي واقفا والعرق يتصبب من جبينه خوفا ورعبا فلقد صحا من السكر ، وامسى ينتظر النتيجة المروعة . وكان اربعة من حفاظ الامن الغلاظ الشداد يحيطون بالمجرم الذي تجرأ بوقاحة نادرة على ان يشتم الفوهرر فى الشارع صراحة وعلى رؤوس الاشهاد !

فطن المفوض الى غايتي من المجيء الى حضرته ، فاشار الى حفاظ الامن بالانصراف ، ولما خرجوا هب المفوض واقفا وهجم على الشاب العربي وامسك بتلابيبه وراح يهزه بشدة !

وقمت من مكاني لانقذ الشاب من بين يدي المفوض الهائج .

وبحركة عصبية قال لي المفوض : دعني يا هر بحري ! انني اريد ان اوجه الى هذا الشاب سؤالا واحدا حيرعقلي واذهلني .

والتفت الى الشاب وهو يقول : ان مسألة شتم الزعيم هتلر ينظر فيها بعدئذ !

بل يهمني جدا ان اعرف من اين لك هذا القدر الكافي من الخمر ليجعلك تسكر فتسب اكبر رأس فى اوروبا ؟

هيا بنا الى خمارتك يا بطل !!

مع غوبلز بوزارة الدعاية

هل للدعاية من اهداف ؟

لقد برهن الدكتور غوبلز وزير الدعاية الالمانية منذ ان عينه هتلر « غاولايتر » محافظا لمدينة برلين على ان للدعاية «اهداف» عديدة اهمها مساندة ماكينة الدولة فى جميع شعب اعمالها وتبريز محاسن نظام الحكم « حتى فى اسوأ ايامه » وحمل الشعب الالماني على السير وراء مستشار الرايخ هتلر حقا ام باطلا ، وتنفيذ الاوامر الرسمية الصادرة عن « الزعيم » وكأنها قوانين وتشريعات سماوية لا تقبل نقضا او ابراما !!

ومما يجدر ذكره هنا ان الدكتور غوبلز بدعايته المنظمة القوية قد جعل الحكومة الالمانية برمتها شعبة من وزارة الدعاية الالمانية وعلى رأسها يقف الدكتور غوبلز قابضا على اعنة الحكم يوجه سير الدولة بموجب الخطة التي يرسمها لها صباح كل يوم سلفا ومع سبق اصرار .

لقد كنت ارى والمس ان كل عمل سياسي ينفذ تبعا لصلحة الحكومة الالمانية وكان يوضع فى قالب يصلح ليكون مادة للدعاية على شقين : اولا لاقناع الراي العام العالمي بصحة وجهة النظر الالمانية النازية من حيث صلاح الحكم النازي بقيادة هتلر واسكات المتطاولين على حكمه بهجمات مضادة صاخبة

تجعل المناقش لها فى الاذاعات المعادية لالمانية النازيـــة يحبس انفاسه فى ذهول مفجع لا يعرف كيف يبدأ وكيف ينتهي وكيف يناقش هذا السيل العرم من التعابير المنمقة والحجج التـــي لا علاقة لها بالموضوع الذي فتحته الاذاعات المعادية لالمانيةالهتلرية!

وثانيا : الهاب المشاعر الوطنية عند الشعب الالماني بصورة مثيرة تجعله ينسى متاعبه وينسى انه فى حالة حرب ضروس تجر عليه المشاكل والكوارث والنكبات . .

لقد عرف الدكتور غوبلز مواطن الضعف فى الشعب الالماني، فراح يستغل كل شاردة وواردة تصلح لكي تكون مادة للدعاية يصغرها او يكبرها تبعا للحاجة اليومية او لايام قادمة ، فقـا لمستلزمات الاحوال السياسية سواء اكان ذلك للاستهـلاك المحلي الالماني ، أو على المستوى العالمي الدولي ! وهكذا اصبحت دعاية غوبلز القوية المنظمة نوعا من الادارة المستقلة فى الدولـة الالمانية بل دولة ضمن الدولة تعيش بمرافقهاالخاصة وتشتغل الوف الساعات فى اليوم الواحد !!

الغاولايتر غوبلز . .

جاء الدكتور غوبلز الى برلين موفدا من قبـل « الزعيـم » هتلر وهو يحمل لقب « محافظ برلين » فى سنة ١٩٢٦ فى وقت لم يكن لهتلر فى برلين عضوا واحدا فى الحزب النازي . . وكـان اليهود يسيطرون على العاصمة الالمانية سيطـرة سياسيـة واقتصادية واجتماعية . . حتى ان مدير الامن العام فيها كان يهوديا . وكان عليه ان يجابه برلين بأسرها وحده وجها لوجه وبعد نضال خمسة اعوام قضاها غوبلز فى برلين فى فقر مدقع وفى السجون وفى الاقامة الاجبارية استطاع هذا الرجل الوحيد

ان يلف حوله الاربعة ملايين من سكان برلين ، وان يفتح معقل المانيا برلين ليدخله ادولف هتلر منتصرا على اليهود وعلى الكتل المعادية للنازية ..

عرفت غوبلز قبل ان يتسلم هتلر الحكم فى ٣١ يناير ١٩٣٣ يوم كان يتقاضى ٨٠٠ مارك شهريا أي « ٨٠ جنيها » ، وفي ذلك الحين عندما كان غريغور شتراسر رئيسا لدعاية الحزب النازي كان غوبلز يستعيذ بالله من هذا الرجل الذي كان يمقته ويحتقره وكان يردد بصراحة وعلى رؤوس الاشهاد ان غريغور شتراسر رئيس دعاية الحزب لا يساوي ملء اذنه نخالة .. فكيف يختاره الزعيم لرئاسة دعاية الحزب النازي ؟

ولكن « الزعيم هتلر » كانت لديه وجهة نظر أخرى تخالف وجهة نظر غوبلز ، كان هتلر يحب ان يرى الحسد والخلاف مستحكما بين مرؤوسيه .. ومع ذلك فان هتلر لم ينس صديقه وحبيبه غوبلز .. ففي ٢٦ اوكتوبر ١٩٢٦ تسلم غوبلز من هتلر رسالة ينبئه فيها بانه قد عينه « غاولايتر » محافظا لبرلين ... على ان يكون مسؤولا امام هتلر وحده ! كنت كلما اجتمعت بالدكتور غوبلز قبل تسلم هتلر الحكم كان يقول لي بوجل : ماذا افعل فى هذا البلد ؟ ان نصف برلين يهودية ! والنصف الاخر شيوعي ، ان برلين عاصمة يهودية شيوعية حمراء !!

وفى الواقع فان صاحبنا غوبلز وصل برلين عاصمة الرايخ الالماني وهو نكرة لم يشعر بوجوده احد .. فلقد كتبت صحيفة يهودية بعد ساعتين مضيتا على وصول غوبلز الى برلين والقائه اول خطاب سياسي له فى اجتماع ما ، بدون ان يطلب منه

الكلام ما نصه : ان شخصا يسمى الهر غوبلز فلاح من الـرور كما يقال قد القى خطابا حشاه عبارات وقحة قديمة !!

هذا الرجل الذي اخافته برلين فى اول يوم وصوله اليهـا ووصفها بانها « غول » يتمطى ليفترسه فى اول عهده بها ، لـم يكن انسانا يعتقد بانه غوبلز سيحكم بعد سبع سنوات هـذا « الغول » برلين ويجعل من وزارته اضخم وزارة فيها . ويكون عدد موظفيها اربعة الاف موظف فى باديء الامر !

واجبات الدعاية

كان المقر العام الذي اتخذه الدكتور غوبلز مركزا له بعـد وصوله برلين يوم ٢٨ اوكتوبر ١٩٢٦ فى طابق ارضي قذر من بناية قديمة فى شارع « بوستدامر شتراسه » . وفى هذا المقر المظلم الموحش القذر الذي لم ير النور مرة واحدة فى حيـاته ولن تنساب اليه اشعة الشمس ، كانت تتناثر مجموعات مـن الصحف القديمة وضعت بصورة تصلح لتكون مقاعد يجلس عليها الاعضاء الجدد الذين استهواهم الدكتور غوبلز لينضموا الى الحزب النازي الجديد . .

ان من اهم واجبات الدعاية هي التأثير على الناس لكسب الانصار والمؤيدين باسرع وقت ممكن ، ثم تنظيم هذه المجموعة من الانصار . وتوزيع العمل الحزبي عليهم توزيعـا يتناسب مع مقدرة كل عضو ، تبعا للمؤهلات التي يلمسهـا رئيـس الدعاية فيهم بحيث يفرض الرئيس شخصيته على المرؤوسين ويجعلهم لا يعملون او يكتبون او يتكلمون الا وهم يستمدون الوحي مباشرة او بصورة غير مباشرة من الرئيس الذي يجب ان تتركز فى شخصيته جميع العوامل الصحفية او الاذاعية بما

فى ذلك الخطب والمحاضرات والاحاديث .

ويقينا فان الداعية يجب ان يكون سريع الخاطر حاضر الذهن ، وان يستمر فى صقل المبادىء والاراء التي يبشر بها بصورة دائمة باذلا جهده بعناد لتوزيع هذا الصقل وتغيير الوانه لكيلا يبقى الصقل مزعجا وسائرا على وتيرة واحدة مملة يضيق بها السامع او القاريء ذرعا فتفقد الفائدة المرجوة منها وينفض من حولها الانصار والمؤيدين ..

وعلى الداعية ان يسهر على دعايته بدون هوادة او لين فيستمع لرجع صداها ويدرس مواطن الضعف فى رجع الصدى ليتمكن من تحسين ما يجب تحسينه واستكمال اسباب النقص فى الدعاية بصورة تضمن له كسب اكبر عدد ممكن من القراء والسامعين .

لقد كان الدكتور غوبلز من الدعاة الذين يؤمنون بما يدعون اليه من مباديء واراء واهداف وكان يرى فى كتاب هتلر « كفاحي » الانجيل الذي يجب ان يكون دستورا للعمل والتبشير بمضامين هذا الدستور لخير المانيا وعزتها وعظمتها . ولما كان غوبلز من اشد الالمانيين عبادة للعباقرة من الرجال ، فلقد وجد فى هتلر معبوده العبقري الذي لم يقصر فى طاعته طاعة عمياء بدون قيد او شرط سواء كان هتلر حاضرا معه او فى غيابه ، انني اعتقد اعتقادا راسخا بان غوبلز بنجاحه الباهر فى دعايته القوية الرائعة المروعة قد استهوى افئدة اهل برلين ، واكتسح معاقل الشيوعيين وحطم قلاع اليهود ، وفتح ابواب برلين فى وجه هتلر . والذي لا يقبل الجدل ان حكومة هتلر ونظامه النازي وسيطرة الحزب على المانيا وبالتالي على برلين لم تقم الا على اكتاف غوبلز الضعيفة ، فلقد كسب غوبلز معركة

برلين « بالكلام » اي الدعاية النازية المنظمة التي كانت تشتد حرارتها عند اللزوم .. وتبدو وكأنها عظات بالغة ، او نكات مستحبة عند اللزوم ايضا ..

غوبلز دعامة الحزب النازي

اتضح لي من دراستي الطويلة لزعماء الحزب النازي ورجاله البارزين وعلى راسهم هتلر ، بان الدكتور غوبلز محافظ برلين « غاولايتر Gaulieter » في بادىء الامر ثم وزير دعاية الرايخ الالماني في اول وزارة الفها هتلر بعد تسلمه الحكم من الماريشال هندنبورغ مستشار الرايخ ، ٣١ كانون الثاني ١٩٣٣ ، اجل اتضح لي بان الدكتور غوبلزوان لم يكن من قدامى مؤسسي الحزب النازي ، فهو ابرز شخصية في الحزب ، وهو بهدوء اعصابه غالبا وباطلاعه التام على الشؤون العالمية والالمانية اعتبره اقوى من شخصية هتلر وابعد نظرا من « الزعيم » ! ذلك لان الذي يكسب معركة الشعب الالماني من دون ان يكسب معركة العاصمة برلين الكبرى لا يستطيع ان يحكم المانيا ، ففي هذه المدينة العظيمة تكمن اسرار الحكم وهيبته ..

اما وقد استطاع غوبلز الرجل الصغير القصير القامة الاعرج الذي لا يزيد وزنه عن ٥٥ كيلوغراما ان يقدم البراهين الساطعة على طول باعه ومقدرته في الدعاية ، ومقارعة الخصوم والاضداد بمثل هذه الجرأة النادرة . والحجج التي ينتزعها من الوقائع والاحداث انتزاعا ، واذا لم تتوفر لديه الوقائع والاحداث ، فهو بفكره الثاقب ومهارته في الدعاية يخلق الوقائع والاحداث خلقا ليوهم الراي العام في الداخل والخارج بان امورا تجري في طي الخفاء ! وهو لم يفعل شيئا اكثر من « واجب مقدس » لدفع

الاخطار عن الشعب الالماني وحفظ مصلحة القومية من ان تمتد اليها اصابع الفوضويين والانتهازيين والمفسدين !!

اما من هم هؤلاء الفوضويون والانتهازيون والمفسدون ؟ الذين يشير اليهم غوبلز فى خطبه واذاعاته وفيما يكتب فى الصحف منذ ان التحق بهتلر فى شهر اغسطس ١٩٢٦ وصار عضواً فى الحزب النازي الى ان ووري فى التراب فى ٣١ نيسان ١٩٤٥ ، فذلك امر ظل سرا مكتوما حتى يومنا هذا ..

الانتهازيون والفوضويون !!

كنت وانا اعمل الى جانب الدكتور غوبلز فى كل يوم تقريبا ، الاحظ هذه العبارة تتكرر على لسان غوبلز فى كل يوم تقريبا ، وحتى فى مؤتمراته الصحفية اليومية التي يعقدها فى كل صباح فى قاعة السينما الكبرى بالوزارة اسمعه يردد العبارة نفسها بدون ان يشرح لاحد من هم هؤلاء « الانتهازيين والمفسدين » !!

لقد اثار هذا التعبير اهتمامي البالغ بل فضولي الصحفي والسياسي فتقدمت اليه مساء يوم مطير ونحن فى نادي الصحافة التابع لوزارته متسائلا : من هم (الفوضويون والانتهازيون والمفسدون) يا هر منيستر ؟ يا ايها السيد الوزير ؟

وحدجني الدكتور غوبلز بنظرة فاحصة وقال وهو يبتسم بخبث وبدون ان يرد على سؤالي : « ان الداعية المجيد لا ينبغي له ان يوضح بعض العبارات التي يرتكز عليها فى الغالب !! وعليه ايضا ان يجعل السامع او القارىء يشعر بان هناك ايادٍ خفية تعمل من وراء ستار للعبث بالمصالح القومية .. وان الداعية هو الذي اكتشف اسرار هاتيك الايادي الشريرة !! فاذا

كانت هناك اياد حقيقية خبيثة تحاول ان تعبث بالمصالح القومية ايا كانت ، فان اصحاب هاتيك الايادي يرتدعون من تلقاء انفسهم !! وان لم تكن هناك اياد شريرة فان الراي العام يعتقد بان العناية الالهية هي التي ارسلت هذا الداعية يدعو الى الخير ويكشف الفضائح !

النازية والدعاية

كتب هتلر فى « كفاحي » يقول : يجب على الدعاية ان تسبق الحكم بمراحل طويلة ، ولكي تنجح هذه الدعاية ، ينبغي انتقاء المواد الانسانية الصالحة لها !

وفى هذا الباب نجح هتلر نجاحا بالغا فى اختياره الدكتور غوبلز ليكون فيما بعد تسلم زمام الحكم وزيرا للدعاية النازية !

ان هتلر قد اصاب فى قوله ان الدعاية يجب ان تسبق الحكم بمراحل طويلة .. هذا فيما اذا كان الحكم غير قائم بعد .. اما اذا كان الحكم قائما ، فا نالدعاية لهذا الحكم يجب ان تسبق المشاريع المقترح تنفيذها ، وان تبرز محاسن النظام القائم بصورة غير مباشرة وتدعم الرجال القائمين على دست الحكم ، وتقريب الشعب الى الحاكمين ، وبالعكس ..

لقد اراد هتلر ان يجعل من الدكتور غوبلز باديء ذي بدء حاكما سياسيا .. فهو باسناده منصب « غولايتر » الى الدكتور غوبلز وخاصة على برلين اكبر مدينة فى المانيا كان يريد فى الواقع ابعاد الدكتور غوبلز عن مدينة مونيخ التي كانت تعتبر فى ذلك الحين مركز الثقل للحركة النازية ، وخاصة بعد ان عين هتلر خصمه العنيد غريغور شتراسر رئيسا لدعاية الحزب النازي !

لقد كان الدكتور غوبلز يعمل سكرتيرا عنـــد غريغـــور شتراسر . وكان هذا الاخير يكافح هتلر بشدة ضمن اطـــار الحزب النازي لاعتقاده بان هتلر لا يحسن انتخاب رؤســـاء منظمات الحزب !! ولكن هتلر لما عين غريغور شتراسر رئيســا لدعاية الحزب النازي ، وعين غوبلز محافظا لبرلين كــان قد ضرب عصفورين بحجر واحد .. فلقد اسكت شتراسر الـى الابد ! وتخلص من وجود غوبلز الخطيب المفوه فى مونيخ حيث كان يثير الفتنة بين اعضاء الحزب بصورة مثيرة حطمت اعصاب هتلر !

من الفقر الى الثراء ..

ان البلبلة التي كانت تسود الحزب النازي فى مونيخ فى عـــام ١٩٢٦ كانت قوية الى درجة ان اقرب المقربين الى هتلر كـــان يتوخى انهيار الحزب النازي دفعة واحـــدة .. فالدسائس التي كان كبار الاعضاء يحيكونها ضد بعضهم بعضا قد شلـت ماكينة ادارة الحزب ، وجعلت اوامر هتلر ونواهيه صفرا الى اليسار ..

لقد كانت حكومة بافاريا الالمانية الاقليمية فى ذلك الحـين حكومة قائمة بذاتها وان كانت ترتبط بالحكومة الالمانيـــة فى برلين بروابط فيديرالية على غرار الولايـات المتحـــدة الاميركية . ومن اجل ذلك فانحكومة باقاريا الاقليمية فىمونيخ كانت تغض الطرف عن نشاط الحزب النازي بل تعطف علـى تصرفات هتلر ، ويمده ممثلو حكومة مونيخ بالمـــال الكثـــير حتى انه اصبح يقتني هو وكبار اعضـــاء حزبـــه سيارات المرسيدس الفخمة ويقطن فيلا انيقة على ساحـــل بحـــيرة

« شرطنزي » بعد ان كان يركب عربات الدرجة الثالثة ويسكن في غرف هي اكثر حقارة من غرف السجن الذي غادره للمرة الثانية منذ ان اسس الحزب النازي في خمارة « بورغر بروي كيلر » في مونيخ ..

ان اصحاب رؤوس الاموال الالمان ، في بافاريا كانوا منذ ايام حروب السبعة اعوام في عهد فردريك الكبير ضد أصحاب رؤوس الاموال اليهود في المانيا وكانوا لا يزالون يشجعون الاشخاص والاحزاب العاملين ضد اليهود . ولهذا فلقد وجدوا في الحزب النازي عامة وفي شخص هتلر خاصة ضالتهم المنشودة بعد ان اتضح لهم ان من اهم الاهداف التي يرمي اليها هتلر وحزبه النازي هو التخلص من اليهود وانقاذ المانيا من وجودهم فيها . وهكذا وجد هتلر الشيء الوحيد الذي كان يحتاجه ، وهو المال الكثير يغترف منه بقدر ما يريد ويصرف منه على رجاله ما يحلو له ..

ماذا اراد هتلر ؟

عندما جئت الى برلين لتأسيس الاذاعة العربية فيها في الرابع من شهر نيسان ١٩٣٩ كنت اعرف حقيقة اهداف ادولف هتلر الذي وضع خطوطها العريضة ورسمها ونفذها الدكتور غوبلز بدقة واحكام وعناية بالغة ..

ان اهداف دعاية غوبلز ترمي الى اشياء ثلاثة :

١ ــ اظهار خصوم الحزب النازي الكبار مثل تشرشل وايدن وروزفلت واوستن شابرلين وارستيد بريان وغيرهم من اقطاب السياسة العالمية بمظهر الثري العابث العاجز الذي لا يصلح لشيء سوى ترؤس حفلات الرقص وسباق

الخيل وحضور مسابقات كرة القدم والرغبي .. وتربيــــة الكــلاب .

٢ ـ التحدث بكثرة وبالحاح وعناد عن جـودة الانتـــاج الالماني من مواد انسانية وسلاح وعتاد جوي وبري وبحري ، واثارة المشاعر الالمانية القومية بشكل يجعل الالماني يتيـــه زهوا ، ويصير الراي العام العالمي مرغما على الاعجاب بقـــوة المانيا الانتاجية من حيث لا يشعر !

٣ ـ تهيئة الراي العام الالماني والعالمي باستمرار لتلقي انباء المانيا على تنوعها وكأنها حقائق ثابتة لا تقبل الجدل ، بــدون محاولة الاقناع ، او الدفاع !!

هذه هي اهداف الدعاية الالمانية النازية وهي اهداف قد لا تبدو واضحة لرجل الشارع الذي طالما استغل مشاعره الدكتور غوبلز وسيطر به على كبار رجال السياسة العالمية الذين لـم تتوفر لديهم وسائل المواد اللازمة للدعاية ، بل كانوا يقفــون من سيل الدعاية الالمانية العرم موقف المدافع الذي يحاول ان يفسر موقفه من هذا الموقف بامانة واهتمام !!

ان الرأي الألماني والعالمي لم يسمع من دعاية غوبلز ولـــم يقرأ له اي شكوى او تذمر او دفاع عن وجهة او وجهات النظر الالمانية ، بل كان يسمع غوبلز ودعاته حتى فى اسوأ ايام المانيا ومحنها المتلاحقة الى اخر ايام هتلر وغوبلز وانهيار « الرايــخ الالماني الثالث » وانحلال الحزب النازي ، يطبل ويزمر ويمجد الشعب الالماني الصابر الثابت المجاهد النبيل ، ويهدر صوت الدعاة الالمان من تحت قنابل طائرات الحلفاء المنصبة على برلين اناء الليل واطراف النهار . وهم يهددون الحلفاء والعالم بسلاح سري جديد سيبدل وجه الدنيا ويغير مجرى التاريخ.. وليكن

بعدهم الطوفان ! والطوفان فى نظر غوبلز رب الدعاية النازية هو السلاح النافذ الحدين الذي احسن استخدامه فى معاركه الكلامية التي اخاف بها خصومه واقض مضاجعهم ، وجعل الآمن المطمئن منهم يظن فى قرارة نفسه انهناك حدثا سيحدث!

اما ما هو هذا الحدث فان الدعاة الالمان انفسهم لم يكونوا يدركون كنهه . لانه حدث غير موجود اصلا !

بل هو حدث فرضته الاحوال الطارئة لاستخدامه فى حرب الاثير ، تلك الحرب غير المنظورة التي تدخل الى العقول من ابواب الاذان المرهفة السمع .. ومجاراة التيار الجارف فيدخل الشك الى النفوس الضعيفة ويبقى اصحاب القلوب القوية حائرين لا يبدون حراكا .. فى حين ان الداعية الالماني يبقى وراء المذياع مستمرا فى الضرب بمطرقته الاذاعية على اسماع الخصوم والاعداء وكأنه يذيع من حديقة غناء وارفة الظل الى جانب فرقة موسيقية تشنف الاسماع باعذب الالحان واشجاها !؟ لا تحت قنابل طائرات الحلفاء النازلة علينا من السماء كطير ابابيل جعل برلين تتهدم وتحترق حتى صارت كعصف غير مأكول !

لغة القوي والاقوى

لقد كانت انتصارات الجيش الالماني منذ اكتساح بولندة فى خلال اسبوعين ، واحتلال الدانمرك وهولندا وبلجيكا ، وطرد قوات الحلفاءمن نارفيك واحتلالالنرويج ثم طرد القوات البريطانية من فرنسا والبلجيك واكراهها على الفرار من دنكرك بشمال فرنسا والقاء الاخيرة سلاحها والتسليم الى هتلر ، لقد كانت كل هذه الانتصارات الساحقة فى الغرب

والانتصارات الاخرى التي تلتها في الميادين الشرقية من « لبلاند » عند المحيط المتجمد الشمالي وشمال روسيا الى البحر الاسود ورفع العلم الالماني على اعلى قمة في جبل الالبروز في القفقاس وعلى عواصم البلقن واليونان.اجل كانت هذه المظاهر من اهم العوامل التي حملت الراي العام العالمي على تصديق الدعاية الالمانية والثقة بالبلاغات الرسمية الصادرة عن مقر القيادة العليا للجيوش الالمانية المسلحة .. وصار اسم هتلر يقع على مسامع قادة الراي العالمي المحارب منهم والمحايد وقع الصاعقة القائمة على الرقاب كسيف ديموقليس !

هذه الحقائق قد ساعدتنا على ان نقول ما يحلو لنا قوله ، وان نضفي على تعليقاتنا السياسية واحاديثنا الادبية هالات من المجد والتشجيع شأن الرجل الواثق من نفسه ، وكيف لا نثق واحاديث النصر تملأ اجواء العالم بأسره .

الكابتن برين يخترق بغواصته السحرية الحواجز والاسلاك المكهربة في موانىء سكابافلو وفرث اوف فورث بشمال بريطانيا وينسف البوارج والدوارع البريطانية في عقر دارها ويعود الى قواعده في ميناء كييل سالما .

والجنرال غالاند قائد اسراب « الشتوكا » الالمانية ينقض في كل يوم على بريطانيا فيدمر ويخرب ويمسح مدينة كوفنتري من على وجه الارض مسحا ويزيلها من عالم الوجود !

والمريشال رومل يسحق الجيش البريطاني الثامن سحقا ويطرده من الصحراء الغربية ويقف عند العلمين على بعد ٧٠ كيلو مترا من القاهرة والاسكندرية !!

افليست هذه الوقائع التاريخية وحدها كافية لتجعل الداعية الالماني يقف امام المذياع ويتكلم ما يشتهي ان يقوله في خصمه،

والناس فى كل عهد وحين يصدقون القوي ويقدسون الاقوى؟

تجدد الصراع بين المانيا وايطاليا

كان لانتصار جيوش الرايخ الصاعقي الخاطف فى الجبهة الغربية ، وانتهاء سلسلة الانتصارات بسحق فرنسا اثر سيء فى نفوس الطليان وعلى راسهم « الدوتشي » موسوليني ، فراح موسوليني يبحث عن جبهة جديدة يحرز فيها نصرا مهما كلف الثمـــن !

ولما كان الغرور القومي اللاتيني قد تفاقم فى راس موسوليني وبلغ اشده بعد انتصارات جيوشه على الحبشة وطرد منها الامبراطور هيلاسلاسي ، فلقد اصر على فتح جبهة جديدة لجيوشه !

ولكن ايـــن ؟

كان الكونت تشانو زوج« ادا »ابنة موسوليني فى ذلك الحين قد صار وزيرا لخارجية ايطاليا ، وكانت اسهمه قد ارتفعت فى الميادين الديبلوماسية الايطالية ، ولكنه كان من طراز نبـــلاء الارياف الايطاليين « خيالي مغرور » الى حد العناد .. فاذا ما ركبت رأسه فكرة من اي نوع كانت فأنه لن يحيد عنها،وكان الى ذلك طموحا للغاية !! وكيف لا يكون كذلك وهو صهر موسوليني ووزير خارجية الامبراطورية الايطالية .. وفضلا عن ذلك فلقد صار الكونت تشانو فى ايطاليا الرجل الثاني بعد موسوليني ..

لقد كان الكونت تشانو دبلوماسي من النوع الرخيص .. محدود العقل ، محدود المدارك، غيور من اقرانه وزراء خارجية الدول الغربية . فلقد كان يغار من رشاقة المستر ايدن وزير خارجية بريطانيا ، ويغار من شهرته ، حتى انه امر الصحـف

بعدم نشر صور المستر ايدن ، ولكن غيرة تشانو من ايدن يجوز ان تبرر اذا صح ، التعبير ، فالمستر ايدن مثلا وزير خارجية دولة عدوة للمحور ، ففي استطاعة الكونت تشانو ان يغار ويكره المستر ايدن !!

ولكن ، كيف يمكن تبرير غيرة الكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا احدى دول المحور من الكونت ربينتروب وزير خارجية المانيا كبيرة دول المحور ؟

اذكر فى الاجتماع الذي عقد فى مونيخ بناء على طلب هتلر واستدعى اليه موسوليني ووزير خارجيته الكونت تشانـــو اثر اعلان ايطاليا الحرب على فرنسا بعد ان اجتاحت جيوش الرايخ خط ماجينو الفرنسي واصبحـت قوات الماريشـال رومل الالية على ابواب باريس ! اجل اذكر كيف وقف الكونت تشانو امام زميله الكونت ربينتروب يحملق فى وجهــــه بامتعاض وهو يحرق الارم غيظا . تقـدم اليـه ربينتروب بسذاجة الريفي الالماني مادا يده لمصافحة وزيــر خارجيـــة ايطاليـــا !

ولكن تشانو تجاهل حركة ربينتروب ، وهرع الى موسوليني الذي كان يشرح لهتلر الاسباب التي حملت حكومته على اعلان الحرب على فرنسا وبالتالي على الحلفاء .. فكان اهم سبب أعلنت من اجله الفاشستية الحرب على فرنسا هو اصرار الكونت تشانو على الاسراع باعلان الحرب قبل ان تستسلم فرنسا الى هتلر . ولكيلا يبقى هتلر وحده سيد الموقف فى اوروبا ..

سياسة الامر الواقع

لم ير هتلر بدا من قبول وجهة نظر موسوليني ، ولكنــه

اسرها فى نفسه، علامة سوداء ضد الكونت .. وقال هتلر لفون ربينتروب ، ان هذا الارعن تشانو سيخرب ايطاليا ويحطم عرش حموه موسوليني ! وسيكرهنا قريبا لوضع مليون جندي الماني فى ايطاليا لحماية موسوليني وصهره الاحمق من الشعب الايطالي نفسه !

ان قصة تشانو وريبنتروب فى مونيخ ليست سوى مظهرا من مظاهر الصراع الخفي الدائر بين ايطاليا الفاشستية والمانيا النازية على تنازع السلطان وبسط النفوذ فى البحر الابيض المتوسط وجنوب اوروبا وافريقيا الشمالية « المغرب العربي » ومصر والبلاد العربية الاخرى . ولكن هتلر لم يشأ اغضاب موسوليني وبالتالي احداث ثغرة واسعة فى صفوف المحور فى وقت كان يتطلب توحيد الصفوف حتى ولو بالتظاهر بان ايطاليا لم تفعل شيئا تلام عليه ..

وهكذا قبل هتلر بسياسة الامر الواقع .. تلك السياسة التي فرضها الدوتشي موسوليني على العالم منذ زحفه على روما واغتصابه الحكم وهو على رأس حزبه الفاشيستي .. ومنذ ان ضرب بقرارات عصبة الامم القاضية بفرض العقوبات على ايطاليا يوم احتل موسوليني الحبشة عرض الحائط وفرض على عصبة الامم سياسة الامر الواقع !

ماري نوستروم !

كنت اشك فى نوايا موسوليني نحر العرب منذ ان اغتالت قواته الفاجرة شيخ المجاهدين الليبيين العرب فى برقه ثم اصطدامي بموسوليني يوم ان حاول اغتصاب لقب « حامي الاسلام » فى طرابلس الغرب ساعة افتتاحه الطريق البري

« ليتوريا » الممتد من حدود تونس الى الحدود المصرية عبر طرابلس وبرقه .. فلقد كانت سياسة موسوليني في المغرب العربي وفي مصر وسوريا ولبنان بما فيها فلسطين سياسة استعمارية استغلالية ما في ذلك من شك .

أن قصة « ماري نوستروم » اي بحرنا .. قصة معروفة للدنيا باسرها ، فموسوليني كان يسمي البحر الابيض المتوسط « ماري نوستروم » اي البحر الذي هو ملكنا !!

وعلى شواطىء « ماري نوستروم » تقع اقطار المغرب العربي ،: مراكش ، الجزائر ، تونس ، ليبيا ، فمصر وفلسطين وسوريا ولبنان ..

اذن فكل هذه البلاد العربية من طنجة الى اللاذقية تقع ضمن دائرة « ماري نوستروم » اي ضمن دائرة المجال الحيوي لموسوليني .. وهكذا فان موسوليني يعتبر هذه البلاد العربية من املاكه ، افليست هي واقعة على سواحل بحره « الابيض المتوسط » ماري نوستروم ؟؟

العرب بين المانيا وايطاليا

لما اعلن موسوليني الحرب على فرنسا وعلى حليفاتها التي اختفت من الميادين الحربية ، بعد ان غلبت على امرها ، تكهرب الجو في البلاد العربية ، وكنت وانا في برلين في ذلك الحين ، العربي الوحيد الذي كان باستطاعته جس نبض المحور لمعرفة موقفه من البلاد العربية وعلى الاقل المانيا وايطاليا .. ولما كنت رئيسا للقسم العربي بوزارة الدعاية الالمانية ، وبحكم منصبي هذا كنت على اتصال رسمي دائم بالقسم العربي بوزارة الخارجية الالمانية . القسم الذي يرأسه الدكتور غروبا وزير المانيا السابق

فى العراق والمملكة العربية السعودية .

كنت اعرف راي الدكتور فريتز غروبا فى العراق
العربية منذ ان عرفته ببرلين فى عام ١٩٣٠ فلقد كان ي
بضرورة تعاون المانيا مع العرب ، ومن اجل هذا كان
باصرار وقناعة لزوم تقوية العراق والعرب وضمان است
بالحديد والنار ليكون الى جانب المانيا حليفا قويا خاص
لدى هذا الحليف العمود الفقري للقوات المسلحة ، الا و
النفط الفزير الثمين !

وكنت اعرف ايضا ان الدكتور غروبا كان يمقت سيا
موسوليني الاستعمارية فى المغرب العربي ويوجس شرا ع
المانيا من تعاونها مع ايطاليا .

كان الدكتور غروبا وهو فى بغداد يحذر السنيور غبر
وزير ايطاليا فى العراق من مغبة سياسة موسوليني فى البـ
العربية ، والذين يعرفون السنيور غبريللي ببغداد لا بد و
يتذكرون كيف انه كان يعطف على العراق والبلاد العربية،
انه لما اعلن موسوليني الحرب على فرنسا وحليفاتها لم يتأ
عندما طلب اليه رئيس الوزارة العراقية تصريحا رسميا خ
تضمن فيه ايطاليا استقلال العراق والبلاد العربية الاخرى، ،
حالة عدم اعطاء تصريح رسمي كهذا فان الحكومة العراق
مضطرة الى قطع العلاقات مع ايطاليا كما فعلت من قبل ،
المانيـــا .

التصريح الايطالي للعرب

وفى مساء اليوم السابع من شهر تموز ١٩٤٠ سجلت الـ
« التيلوتيب » رسالة لمندوبنا ببغداد وقد كانت هذه الرسال

نص التصريح الرسمي الايطالي الذي سلمه السنيور غبريللي وزير ايطاليا المفوض فى بغداد الى فخامة رئيس الوزارة العراقية وقد اذعته شخصيا فى تمام الساعة السابعة من الاذاعة العربية ببرلين وهذا نصه :ـ

بغداد . فى ٧ تموز ١٩٤٠

المفوضية الملكية الايطالية :ـ

عزيزي صاحب السعادة :ـ

امرني سعادة الكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا انابلغ فخامتكم ، ان ايطاليا ، تبعا للسياسة النافذة المفعول (حتى الآن) ترمي الى تأمين الاستقلال التام . والاحتفاظ بالكيان السياسي لكل من سوريا ولبنان والعراق ، والبلاد التي تحت الانتداب البريطاني. ولهذا فان ايطاليا ستقاوم كل ادعاء بريطاني او تركي لاحتلال الاراضي سواء اكان ذلك فى سوريا او لبنان او العراق .

وتفضلوا يا سعادة عزيزي بقبول اخلاصي

التوقيع : غبريللي

هذا هو نص التصريح الرسمي الايطالي الذي سلمه السنيور غبريللي الى رئيس الوزارة العراقية فى اليوم السابع من شهر تموز ١٩٤٠ واذعناه فىمساء ذلك اليوم من اذاعة برلين العربية و فىاليوم التالي طلبني الدكتور غروبا الى مكتبهبوزارةالخارجية الالمانية فى ويلهلم شتراسه . . وكانت أمامه نسخة مسجلة عن اذاعتنا امس . فقال لي وهو يبتسم غامزا عينه اليمنى ، اذا صح وجود مثل هذا التصريح الايطالي رسميا ببغداد فان هذا يسهل مهمة المانيا فىالتفاهم مع العرب ، ان غبريللي رجل يحب العرب مثلي ، واخاف ان يكون الكونت تشانو قد ورطه

« شفهيا » فى مثل هذا المأزق ليدلي بتصريح قد ينكـــره فى المستقبل .. خاصة وان الحوادث تترى .. والتطورات تسير بسرعة البرق الخاطف !

قلت لننتظر فعسى ان يحدث المستحيل ، او يثبت الكونت تشانو على تصريحه الذي يضمن به استقلال البلاد العربية ..

مفتي فلسطين والمحور !

عندما هرب الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين من قرية الذوق فى لبنان فى ليلة ١٣ تشرين الاول ١٩٣٩ الى بغداد لـم يكن بعد قد اتصل بالمانيا اطلاقا ، ولم يكن له فيها من صديـق سواي .. فلقد كنت قد جعلت منه « وانا الهب مشاعـــر العرب واثير حماسهم من اذاعة برلين » رمزا للنضال العربي ومشعلا للجهاد ، حتى انني صيرته قميص عثمان لقضية العرب الكبرى « فلسطين » وقد لفت تكراري التنويه بشخصيـة الحاج امين الحسيني نظر الدكتور غوبلز وزير الدعاية الالمانيـة فاستدعاني الى مكتبه ذات يوم من ايام تشرين الثاني ١٩٣٩ وقال لي : الظاهر انك صديق حميم للمفتي الاكبر ؟ يبدو ذلك جليا من اذاعاتك عنه ! قلت : انني اعرفه منـــذ سنة ١٩٣٠ وهو صديقي ، وكانت اخر مرة زرته فيها بمنفاه فى قرية الذوق بلبنان فى شهر شباط ١٩٣٩ اي قبل بضعة اشهر فقط ..

قال : ارجو أن ترسم لي صورة مفصلة عن المفتي لنجعلها مادة خصبة لاذاعاتنا بمختلف اللغات .. انه موضوع طريف هذا المفتي الاكبر !!

وكتبت عن الحاج امين الحسيني وصفا اخاذا « بالغت فيه »

واطنبت في تعداد مزاياه ومغامراته السياسية ، ورسمت له صورة تجعل الالماني الواعي يرفع قبعته احتراماً للجهاد والوطنية والنبل ولجليل قدره ونجابته .. وبعد نظره ، وشكل لحيته ، وضخامة عمامته ..

ابتهج الدكتور غوبلز بما كتبت عن المفتي الاكبر ، وصاح بهانز فريتشه وهو يقول مسرورا : هذه قنبلة فلسطين! اطلقها على بريطانية اعتبارا من هذا اليوم ! ان قصة المفتي الاكبر هذا « مادة دسمة » للدعاية تكفينا لستة اشهر .. وعندما ننتهي منها يجدد لنا « يونس بحري » صورة اخرى عن هذا المفتي الاكبر !!

بهذه الصورة التي رسمتها للالمان بدأت علاقة المفتي بالمانيا « غيابيا »

اما علاقة المفتي بايطاليا فلم اكن اعلم عنها شيئا حتى اليوم الذي رسمت فيه صورة المفتي للدكتور غوبلز .. ولكنني علمت بعد مقدم المفتي الى ايطاليا ثم الى المانيا ، عن علاقة المفتي الحاج امين الحسيني بايطاليا اشياء واشياء سأذكرها في اجزاء قادمة من سلسلة كتابي هذا ــ هنا برلين . حي العرب ــ

رشيد عالي الكيلاني والمحور

بدأت علاقة رشيد عالي الكيلاني بالمانيا او بعبارة اصح بالدكتور فريتز غروبا وزير المانيا المفوض ببغداد عندما عين الكيلاني رئيسا للديوان الملكي العراقي الهاشمي . وكان للدكتور غروبا علاقة طيبة بالمغفور له الملك غازي الاول عاهل العراق ، فكان كثير التردد على البلاط الملكي العراقي ، وكثيرا ما كنت اصحب الدكتور غروبا في زياراته هذه . وكان مكتب

السيد رشيد عالي الكيلاني المكان المفضل للاجتماع ، ولما كا
الكيلاني رجلا عاطفيا لا يستطيع كبح جماح عواطفه ، سري
التأثر ، عصبي المزاج ، يتكلم قبل ان يفكر مدفوعا باحاسيس
وتيارات آنية مستوحاة من كلام محدثه .. ولما كان الدكتو
غروبا دبلوماسيا داهية فكان يهيمن على الكيلاني ويجره الى ان
يبوح له بكل ما عنده من اسرار ، وهذا ما كان الدكتور غروب
يريد الاطلاع عليه ومعرفته !!

وخلاصة القول فان الدكتور غروبا بتردده على « صديقه »
الكيلاني قد سيطر عليه ووجهه الوجهة التي ارادها غروبا له
.. فما ان قطع العراق علاقته بالمانيا الا وكان رشيد عالي الكيلاني
« مطبوخا » فى مطبخ الدكتور غروبا . فصار ميالا الى المانيا ١٠٠
بالمئة !

المفتي والكيلاني ببغداد

ما ان وصل الحاج امين الحسيني الى بغداد يوم ١٤ تشرين
الاول ١٩٣٩ حتى وجد من الحكومة العراقية كل ترحاب وتكريم .
فأغدقت عليه الحكومة العراقية الاموال الطائلة ، ومنحت
رفاقه امتيازات خاصة لم يكن يتمتع بها عراقي واحد ، وفى
الواقع فان هذه المعاملة الممتازة الطيبة لمجاهدين عرب احرار
هي اقل واجب يقوم به العراق العربي نحو ابناء قطر شهيد
منكوب باليهود شذاذ الافاق .

قلنا ان السيد رشيد عالي الكيلاني سياسي عاطفي من
السهل الهيمنة على تفكيره ، وفضلا عن ذلك فهو « سميع
ممتاز » يحب ان يسمع ويصدق كل ما يقال له او يهمس فى
اذنه .. سريع الغضب سريع الرضى !!

ولما كان الحاج امين بدوره رجلا « سميعا ممتازا أيضا »
ولكنه يمتاز عن الكيلاني بكونه « كتوما » قليل الكلام .. واذا
تحدث فانه يسيطر على محدثه وخاصة اذا كان محدثه رجلا
« عاطفيا » مثل الكيلاني !

وبعد ايام من وصول المفتي الى بغداد توثقت اواصر الصداقة
والمودة .. بين الحسيني والكيلاني ولم يجد المفتي كبير عناء
في الاستيلاء على تفكير الكيلاني . وصار يوجهه الوجهة التي
يرسمها المفتي له !

الاتصال بالمانيا

مساء يوم من ايام تموز ١٩٤٠ وصلتني اشارة سرية من
بغداد تفيد بان (نخبة) من السياسيين العراقيين ومنهم
رشيد عالي الكيلاني والحاج امين الحسيني قد قرروا الاتصال
ببرلين ! فما هو رأيكم ؟

عرضت الامر في الحال على الدكتور غروبا فأشار علي بأن
اذيع تعليقا سياسيا اقول فيه ان المانيا صديقة العرب ترحب
بمقدم اي سياسي عربي الى برلين لتبادل النصح والارشاد
والتعاون على قدم المساواة في اي وقت كان ...

وبهذا فتحنا الباب على مصراعيه امام المترددين في القدوم
الى المانيا ، وتشجع انصار المحور في بغداد وعلى رأسهم الحاج
امين الحسيني ورشيد الكيلاني وقرروا متفقين متآخين ارسال
مندوب عنهم الى برلين . ووقع اختيارهم على السيد عثمان
كمال حداد السكرتير الخاص لمفتي فلسطين الحاج امين الحسيني

وسافر المندوب سرا وبجواز سفر عراقي مستعار الى انقرة
وهو يحمل من السيد رشيد عالي الكيلاني توصية الى اخيه

المرحوم السيد كامل الكيلاني الذي كان وزيرا مفوضا للعراق في انقـرة .

وقام المرحوم السيد كامل الكيلانيّ بتقديم مندوب المفتي والكيلاني الى الهر فون بابن سفير المانيا فى انقرة حيث قدم اليه كتابا من الحاج امين الحسيني يشرح له فيه مطالب العـرب للتعاون مع المحور .

فـون بابـن !

نبيل من اشرف العائلات الالمانية وهو ديبلوماسي مـن المدرسة البسماركية القديمة تلك المدرسة التي عملـت على توحيد المانيا وجعلها تنصهر فى بوتقة الوطنية الالمانية الحديثة وقد لعب البارون فون بابن دورا رئيسيا ابان الحرب العالمية الاولى عندما كان ضابط ارتباط بين القيادة الالمانية العليا فى فلسطين وشبه جزيرة سينا وبين القيادة التركية العثمانيـة العليا فى عاليه لبنان حيث كان الجنرال جمال باشا السفاح يصدر اوامره المتتالية للتنكيل بزعماء العرب واعدامهم فى ساحة البرج فى بيروت وفى ساحة الشهداء فى دمشق .

لقد ابدى الهر فون بابن آنذاك معارضة شديدة ضد تعسف القائد العثماني الجنرال جمال باشا واوصى العثمانيين بلزوم النزول عند رغبات العرب فى مطالبهم القومية والتسليـم باللامركزية التي كانوا ينادون بها على لسان حزب الاصلاح العربي والنادي الادبي العربي القائم باستامبول . ولكن جمال باشا السفاح صم اذنيه عن النصائح التي كانت ترد عليه من العاصمة العثمانية ، وكان الجنرال ليمان فون ساندرس القائد الاعلى للقوات الالمانية المسلحة فى الشرق العربي يعتبر نصائح البارون فون بابن بلزوم التعاون مع العرب والتسليم بمطالبهم

نصائح اساسية لتنظيم سير العمليات الحربية فى فلسطين وبالتالي لنجاح الحملة على قناة السويس وضرب بريطانيا فى اهم معقل لها فى الشرق الاوسط !!

وكان من حسن حظ البارون فون بابن الموجود فى فلسطين يومذاك وجود الدكتور فريتز غروبا فى دائرة الحركات الحربية الالمانية هناك . فلقد ساهم بقسط وافر فى دعم وجهة نظر الهر فون بابن من ناحية تأييد الحركات التحررية العربية ، وقد تزوج الدكتور غروبا وهو فى فلسطين ابان الحرب العالمية الاولى بفتاة المانية من مواليد الناصرة وهي سيدة تحترم العرب وتعترف بلزوم ايجاد حل لتحقيق حريتهم فى الحياة المستقلة البعيدة عن ذل العبودية والاستعمار .

ان الهر فون بابن الرجل الذي يعتبر من اهم اساتذة المدرسة البسماركية الالمانية لعب دورا رئيسيا فى تاريخ الرايخ الالماني الثالث ، فلقد كان نائبا لرئيس الوزارة الالمانية عندما فتح الدكتور غوبلز ابواب برلين امام « الزعيم » هتلر ، ولما تسلم هتلر مقاليد الحكم من يد الماريشال فون هندنبرغ مستشار الرايخ الالماني الثاني فى ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٣٣ ، صار فون بابن وزير دولة فى وزارة هتلر ، ثم عينه مستشار الرايخ هتلر سفيرا له فى فيينا عاصمة النمسا ، بالرغم من انه كان مكروها من حكام النمسا فى ذلك الحين !!

ان ادولف هتلر لم يدخل النمسا غازيا فاتحا الا بعد ان مهد الهر فون بابن لدخول هتلر وتحقيق « الانشلوس » تمهيدا احتاج لجهود جبارة استمرت خمسة اعوام . فالهر فون بابن شخصية قوية مبتكرة تعرف كيف تعمل ، وتعرف كيف تصل الى الهدف المنشود .

بابن والجواسيس !

وحكاية فراش السفير البريطاني فى انقرة معروفة لدى القاصي والدان ، فلقد استطاع الهر فون بابن وهو سفير هتلر فى انقرة ان يستحوذ على لب فراش السفير البريطاني المستر كناتشبول فيستهويه بالمال لاخذ صور الوثائق البريطانية الموجودة فى خزائن السفير البريطاني فى انقرة ، ودفع ستمائة الف جنيه استرليني بريطاني ثمنا لها .. وقد تبين فيما بعد ان هذه الجنيهات الاسترلينية البريطانية كلها مزورة اي مزيفة !! ومع ذلك فلقد استطاع الفراش البريطاني الالباني المدعو « سيسرون » ان يصرف جلها فى اسواق تركيا،وهو يقيم اليوم فى البرازيل حيث يعيش عيشة رغدة بفضل الاموال الضخمة التي اغدقها عليه البارون فون بابن ..!!

ان قصة « سيسرون » فراش السفير البريطاني فى انقرة ستبقى ابد الدهر من اهم احداث الحرب العالمية الثانية من حيث الجرأة والمغامرة وحسن التدبير ، وهي القصة التي وضعت السفير الالماني فون بابن فى مصاف الرعيل الاول من الدبلوماسيين العالميين .. ومع ذلك فان محكمة نورينبورغ بالمانيا التي اقامها قادة الحلفاء لمحاكمة مجرمي الحرب الالمانيين قد قررت بالاجماع تبرئة الهر فون بابن من جرائم الحرب واطلقت سراحه ليعود سالما الى مقره فى الغابة السوداء بالمانيا ويستأنف حياة الحرية والعيش الرغد ..

لقد كان فون بابن الرجل الذي فتح ابواب النمسا لهتلر وجعل ه‍يحقق « الانشلوس » الاتحاد الالماني النمسي رجلا يعرف من اين تؤكل الكتف .. وان كان رأي الدكتور غوبلز يختلف عن رأيي فيه .. فالدكتور غوبلز يرى فى فون بابن

رجلا انتهازيا يماشي تطور الاحوال والظروف .. ولكنني بعد درس طويل ونظر بعيد ، اعتقدت بانه ديبلوماسي وليس بداعية !

لقد كان غوبلز يكره فون بابن لمجرد كونه من طبقة النبلاء !! وهو اي الدكتور غوبلز ، الفلاح الصغير الحجم الريفي الاعرج كيف يرضى ان يكون رجلا مثل فونبابن نائبا لرئيس وزارة الرايخ الالماني الثالث يصدر اوامره لتكون دستورا للعمل ينفذها غوبلز بحذافيرها .. فى حين ان كل هذه الاوامر تحتاج الى تنقيح واصلاح !!

ان المسألة مسألة شخصيات وتنافس فردي ضمن اطار الحزب النازي ، ومع ان فون بابن لم يسجل اسمه فى سجلات الحزب النازي كعضو عامل ، فان الدكتور غوبلز قد اخذ عليه عدم استماتته فى محاربة اليهود .. وفى عدم تظاهره فى النقمة على بريطانية عامة وفى التشهير بالمستر وينستن تشرشل الذي كان يعتبره الدكتور غوبلز العدو الالد للنازية وعلى راسها « الزعيم » ادولف هتلر ..

تبرم فون هنتيك بالدعاية البريطانية

لقد كان البارون فون هنتيك رئيس شعبة الشرق الادنى بوزارة الخارجية الالمانية ورئيس لجنة الهدنة فى بلاد المشرق يتبرم من شدة وطأة الدعاية البريطانية ضد المانيا ، وكان بوصفه رئيسا للجنة الهدنة الالمانية الفرنسية فى سوريا ولبنان يبدي امتعاضه من الدعاية البريطانية المضادة لالمانيا فى البلاد العربية !!

وقد وضع تقارير ضد شكري القوتلي والحاج امين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني ورياض الصلح ، وسعدالله الجابري

لانهم كانوا يسايرون الحلفاء فى سياستهم وذلك عندما جاء فون هنتيك الى سوريا ولبنان بعد تسليم فرنسا رئيسا للجنة الهدنة ولكنه بعد ان درس الحالة فى هذين البلدين العربيين واتصل بالناس عرف بان هؤلاء السادة الذين كان يشكو منهم ويطعن فى ميولهم ، ويتهمهم بانهم ضد المحور ، هم الذين اشتركوا فى زج العراق فى الحرب ، وهم الذين شجعوا بعض قادة الجيش العراقي على الثورة وعلى اعلان الحرب على بريطانية فى الثاني من مايس ١٩٤١ ...

اذن فالدعاية البريطانية التي اشتكى منها البارون فون هنتيك رئيس لجنة الهدنة الالمانية فى سوريا لم تؤثر على سير الاحوال وعلى العواطف والميول فى البلاد العربية .. ولكن فون هنتيك كان يكره العراقيين والسوريين واللبنانيين ، فلقد سبق له ان قام باعمال المفوضية الالمانية فى العراق عدة مرات فى خلال الاجازات الصيفية التي كان يقضيها الدكتور غروبا الوزير الالماني المفوض فى بغداد ، فى اوروبا ، ولما كان فون هنتيك سلبيا مع اصدقاء الدكتور غروبا فى بغداد وجلهم من العراقيين والسوريين واللبنانيين والفلسطينيين الذين كانت تزخر بهم بغداد قبل الحرب العالمية الثانية ، فلقد صارت لدى فون هنتيك عقدة سياسية حملته على ان يؤكد فى تقاريره السرية التي كان يرفعها من بيروت فى اواخر سنة ١٩٤٠ الى وزارة الخارجية الالمانية بان الاتفاق مع العرب هو عديم الفائدة وان محاولات الدكتور غروبا لجر العراق الى جانب المانيا ليست من مصلحة الرايخ الالماني !!

تأثير عبدالله فيلبي

وفى الواقع فان فون هنتيك كديبلوماسي كان متأثرا كل

التأثير بما كان يكتبه الحاج عبدالله سان جون فيلبي المستشار السابق للملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية عن البلاد العربية ، ولما كان اتجاه فيلبي ضد التيار الهاشمي في الاردن وفي العراق ولما كان رجال فلسطين وسوريا ولبنان يتجهون بابصارهم وميولهم نحو العراق قبيل الحرب العالمية الثانية ، فلقد مال فون هنتيك الى الاعتقاد بان اتفاق المانيا مع العرب هو عديم الفائدة ، وبان الدولة العربية الوحيدة التي يمكن لالمانيا الاتفاق معها هي المملكة السعودية وعلى رأسها عبد العزيز !

لقد كسب الحاج عبدالله فيلبي بما كتب عن المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود ومملكته حليفا المانيا كان في مطلع الحرب العالمية الثانية شديد الخطر على العرب في المانيا ، ولولا قوة الدعاية العربية التي اثرناها من اذاعة برلين العالمية في هاتيك الايام ، وشدة اعتقاد فون بابن بصلاح العراق وسوريا ولبنان للتعاون مع المانيا ، لقضى فون هنتيك على كل اتصال عربي بالمانيا ، ولو صدقت وزارة خارجية الرايخ الالماني تقاريره آنذاك لما صارت حركة قادة الجيش العراقي الاربعة ، ولما اعلن رشيد عالي الكيلاني رئيس وزارة شهر مايس في العراق الحرب على بريطانيا ..

هذه حقائق لا مفر من ذكرها ، فلقد ظلت هذه الحقائق طي الكتمان لا يعرفها حتى الكيلاني والمفتي وشكري القوتلي ولا فون هنتيك نفسه !!

ويشاء القدر الساخر ان يضرب ضربته هكذا خبط عشواء .. فلقد طرد الملك سعود الحاج عبدالله سان فيلبي البريطاني من المملكة العربية السعودية في العام المنصرم ، وعين في الوقت

نفسه مستشارا له الهر فون هنتيك الالماني بالذات !!

وهكذا تنقلب الاحوال ، واليوم فان الحاج عبدالله فيلبي البريطاني يقيم فى بيروت ، ويقيم فون هنتيك الالماني فى الرياض

ولكن كيف توصل هذا الديبلوماسي الالماني الهتلري ليكون مستشارا للملك سعود ، ويقفز دفعة واحدة ليحل محل السياسي البريطاني الداهية الحاج عبدالله سان جون فيلبي ؟؟

من اثار زيارة هتلر

ان البارون فون هنتيك الذي كان رئيسا لشعبة الشرق الادنى بوزارة الخارجية الالمانية قبل الحرب وفى خلالها لم يكن عضوا فى الحزب النازي مثل زميله وعدوه الدكتور غروبا ، وان تعاونه مع هتلر لم يكن الا تعاونا على المستوى الوظائفي . . اي ادارة مصلحة ديبلوماسية لا علاقة لها بمبادىء حزب معين ، بل بدبلوماسية دولة . .

ولما جاء الوفد السعودي برئاسة السيد ابو الوليد خالد آل هود « القرقني » الى المانيا لزيارة هتلر ومفاوضته فى شأن تسليح المملكة العربية السعودية فى شهر اغسطس ١٩٣٩ عين الكونت فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ ، البارون فون هنتيك ليكون مرافقا للوفد السعودي ومنذ ذلك الحين توطدت اواصر الصداقة بين السيد خالد القرقني مستشار الملك السعودي وبين فون هنتيك العنيف فى صداقته وفى عداوته .

وبقي فون هنتيك فى فترات طويلة ابان الحرب العالمية الثانية يشغل منصب ضابط ارتباط بين المفتي الحاج امين الحسيني ووزارة الخارجية الالمانية من جهة ، وبين « حكومة » رشيد عالي الكيلاني ووزارة الخارجية الالمانية من جهة اخرى !!

ولكن هنتيك كان يفضل المفتي على الكيلاني ، لان هذا من العراق .. ولان المفتي كان اكثر سخاء من الكيلاني ، فلقد كان يغدق النعم وبطاقات الاكل والدراهم على من يلتف حوله ، وعلى من يلوذ به .. فى حين ان الكيلاني كان فى الغالب يغل يده الى عنقه .. وان كانا كلاهما يهبان ما لا يملكان .. لان النعم التي كانا يغدقانها على المحاسيب والاتباع والمريدين هي من حكومة الرايخ جملة وتفصيلا ..

ولما انتهت الحرب بانهيار الرايخ الالماني الثالث كان مصير فون هنتيك الوقوع فى يد الجيش الاميركي فأكرم مثواه .. وبعد مدة طار هنتيك الى الولايات المتحدة الاميركية يدرس فى جامعاتها الاقتصاد السياسي !!

وعندما اسس الدكتور آيدنهاور وزارة الخارجية الالمانية الجديدة واعادت المانيا علاقتها مع الدو لالعربية والاسيوية ، عين صديقه القديم فون هنتيك سفيرا لالمانيا فى اندونيسيا الجمهورية الاسلامية الجديدة ، وعين فى الوقت نفسه زملاء هنتيك وغروبا القدماء بوزارة خارجية هتلر « الهر ميلشرز » وزيرا مفوضا لالمانيا ببغداد .. والهر كورت مونزل قائما باعمال المفوضية الالمانية فى الاردن الهاشمي ، والهر هوفمان مستشارا للمفوضية الالمانية ببيروت وعين الهر شتيفن رئيسا لقسم الصحافة العربية بوزارة الخارجية الالمانية فى بون !!

بقي البارون فون هنتيك على صلاته القديمة مع اصدقائه العرب وخاصة فى الرياض وبيروت ، يكتب الرسائل من جاكارتا الى صديقه الحميم خالد القرقني الذي اشترك مع زميله يوسف ياسين وكيل وزارة الخارجية السعودية واحد مستشاري الملك السعودي فى اطاحة الحاج عبدالله سان جون فيلبي من عرشه

الذي جلس عليه زهاء ٤٠ سنة الى جانب الملك السعـودي الراحل فالملك سعود ..

وكان فون هنتيك كلما مر ببيروت فى روحاته وغدواته من اندونيسيا الى المانيا وبالعكس يتصل بصديقه الاستاذ كامل مروه صاحب جريدة الحياة ويحل ضيفا مكرما على السيد رشاد بربير والصديقين العزيزين كانا معنا فى المانيا .. الاول كان يدير المكتب العربي فى صوفيا عاصمة بلغاريا ويراسل اذاعة العرب الاحرار « الالمانيـــة » فى اثينا . والثاني كان مذيعا ومحـــررا صحبة السيد سليم الحسيني فى اذاعة صوت العرب الاحـــرار « الالمانية » المتنقلة ، تارة يذيع من ميلانو ، وطورا من برلين .. واخيرا من بلغراد ! !

وما ان طرد الملك سعود الحاج عبدالله سان جون فيلبي من المملكة السعودية تناقل البرق نبأ استقالة البارون فون هنتيك من منصبه سفيراً لالمانيا فى اندونيسيا . وبعد ذلك بايام هبطت على مطار بيروت الدولي احدى طائرات « كا ايل ايم » .K.L.M الهولندية وهي تقل الهر فون هنتيك وبعد ان بقي بضعة ايام فيها ضيفا على صديقه رشاد بربير ، اختفت اثار فون هنتيك .. ثم اعلنت وكالات الانباء العالمية بان هنتيك قد عين مستشارا فى « الاقتصاد السياسي » للملك سعود ..

وهكذا ذهب بريطاني تشرشلي ، ليحل محله فى الريـــاض الماني هتلري !!

الديبلوماسية الالمانية فى الشرق العربي

ليس من السهل ان يلم المتتبع للسياسة الالمانية الهتلريـــة قبل الحرب وفى خلالها بكل دقائق هذه السياسة ودخيلـــة

مرامها والاهداف التي ترمي اليها،وخاصةما يتعلق منها بالناحية العربية والشرق الاوسط ، ولكن الاشخاص الذين كانوا يمسكون زمام السياستين العربية والشرقية فى « ويلهلم شتراسه» اي وزارة الخارجية الالمانية الهتلرية كانوا من الرجال الذين تعمقوا فى دراسة احوال البلاد العربية واقطار الشرق الاوسط . واتصلوا شخصيا بزعماء البلاد ، وارتبطوا معهم بصداقات ، وروابط متينة مكنتهم من تسيير دفة السياسة الالمانية بالصورة التي ارادوها بالرغم من النفوذ البريطاني المتغلغل آنذاك فى هاتيك البلاد العربية . . .

ومع ان النفوذ الفرنسي كان ضاربا اطنابه فى سوريا ولبنان، فان ممثلي الخارجية الالمانية الهتلرية عرفوا كيف يشقون طريقهم بسهولة فى هذين الصقعين الخطيرين من اصقاع العالم العربي .

وفى طليعة هؤلاء الديبلوماسيين الالمان الذين عملوا فى الشرق العربي او ساهموا بالعمل فى شؤونه يقف خمسة اشخاص وهم:

١ ــ الدكتور فريتز غروبا ، وزير المانيا المفوض فى العراق والمملكة العربية السعودية قبل الحرب وهو اليوم فى المانيا الشرقيـة .

٢ ــ الدكتور فون هنتيك الوزير المفوض ورئيس قسم الشرق الاوسط بوزارة خارجية المانيا وسفيرها بعد الحرب باندونيسيا وهو اليوم مستشارا للملك سعود .

٣ ــ الدكتور ميلشرز معاون رئيس قسم الشرق الاوسط بوزارة الخارجية الالمانية الهتلرية وهو الان وزيرا مفوضا لالمانيا الغربية ببغداد .

٤ ــ الدكتور مونزل رئيس قسم الاذاعات الشرقية فى وزارة الخارجية الالمانية وكان قائما باعمال المفوضية الالمانية فى عمان

الى قبل ستة اشهر .

٥ ـ الهر شتيفن مدير قسم الصحافة العربية بوزارة الخارجية الالمانية الهتلرية ، وهو يشغل اليوم نفس المنصب السابق بوزارة خارجية المانيا الغربية .

هؤلاء كانوا همزة الوصل بين الشرق العربي والمانية الهتلرية وكانوا المحور الذي ترتكز عليه سياسة المانيا فى بلاد العرب والشرق الاوسط .

اما الدكتور فريتز غروبا فلقد صار بعد قطع العراق والسعودية علاقتهما مع المانيا اثر اعلان الحرب الثانية مستشارا للشؤون العربية بوزارة الخارجية الالمانية ورئيسا للجنة العربية فيهـا .

من هو البارون فون هنتيك ؟

لا شك فى ان البارون فون هنتيك هو ديبلوماسي الماني من مدرسة بسمارك ، تدرب فى السلك الخارجي على يد قدماء الديبلوماسيين الالمان ، وبينهم فون نويراث وزير خارجية المانيا قبل مجيء الكونت فون ربنتروب وزيرا لخارجية هتلر حيث كان سفيرا لالمانيا فى لندن ، وكذلك البارون فون بابن ..

وفى الاقتصاد السياسي يعتبر فون هنتيك من الاساتذة الدوليين ، وكثيراً ما يرجع اليه سيد الاقتصاد العالمي الدكتور هيالمار شاخت لاستشارته ، والاستنارة بارائه البعيدة العميقة الفــور ...

وكان فون هنتيك يدرس الاقتصاد السياسي فى جامعة برلين بالاضافة الى عمله فى وزارة الخارجية الالمانية ، وتولــع منـذ نعومة اظفاره بشؤون الشرق العربي ، والم مثل زميلــه

الدكتور غروبا باللغات العربية والتركية والفارسية ، الا انـه لسبب ما يفضل عدم التحدث بها .

وهو قليل الكلام ، وبالرغم من عمله الواسع فى شـؤون الشرق الاوسط عامة ، والشؤون العربية خاصة ، وبراعته فى الامور الديبلوماسية ، الا انه لم يحصل على الشهرة التي حصل عليها الدكتور غروبا زميله فى العمل ، ولهذا سمي فون هنتيك بالديبلوماسي الصامت ، فى حين اطلق رجال « الانتلجنـس سرفيس » البريطانيين على الدكتور غروبا لقب « لـورانس الالماني ... » وهو اللقب الذي لقبته به انـا .

اضطلع فون هنتيك بمهام ديبلوماسية قليلة قبل الحرب العالمية الثانية خارج المانيا وهي تنحصر بالقيام باعمال الوزراء المفوضين الالمان فى البلاد العربية وتركيا عندما يقضي هؤلاء اجازاتهم خارج مركز اعمالهم .

وقد قام باعمال المفوضية الالمانية فى بغداد اول مرة سنة ١٩٣٤ وثاني مرة سنة ١٩٣٦ ، حين اقيمت الالعاب الاولمبية فى برلين ، ودعا الدكتور غروبا يومذاك عددا ضخما من ساسة العراق وعلى راسهم فخامة السيد توفيق السويدي لمشاهدة الالعاب الاولمبية التي افتتحها هتلر بنفسه .

هذا ولم يلمع نجم فون هنتيك بين اسماء الديبلوماسيين الالمان الا عندما اختير ليكون رئيسا للجنة الهدنة الالمانيـة فى سوريا ولبنان سنة ١٩٤٠ وقد برزت كفاءته السياسية فى هذه المهمة الخطيرة .

هاشمي وسعودي !!

لم اكن على وفاق مع البارون فون هنتيك عندما باشرت

عملي رئيسا للاذاعة العربية فى برلين ومذيعها الاول لا لشيء سوى انني كنت صديقا حميما للدكتور غروبا وزير المانيا المفوض يومئذ فى بغداد . ولكن الخلاف بين هنتيك وغروبا من طراز الخلاف بين لورانس وفيلبي !! فالدكتور غروبا كان يؤيد البيت الهاشمي ، ويعتقد ان العراق يستطيع ان يخدم القضية العربية ويتعاون مع المانيا اكثر من السعوديين الذين لم تكن لديهم امكانا تمادية وادبية وعسكرية كالعراق يومذاك. فى حين كان فون هنتيك يعتقد ولا يزال بان السعوديين هم اصلح لخدمة القضية العربية والتعاون مع المانيا !! وبقي الخلاف مستحكما بين الاثنين حتى نهاية الحرب .

وفضلا عما تقدم فان فون هنتيك كان يعتبر اذاعاتي الموجهة ضد اليهود بمثل هذه الحدة والقوة تضر بسياسة المانيا دوليا وخاصة فى اميركا التي لم تكن قد اعلنت الحرب بعد على المانيا.

وقد حاول هنتيك اكثر من مرة منعي من تسمية الصهاينة باليهود المجرمين ، ولكنني اصررت على هذه التسمية ــ سبق واشرت الى هذا فى صدر هذه المذكرات ــ ،

هنتيك قال لهتلر « لا » !

مثل فون هنتيك ادوارا رئيسية فى سياسة المانيا الغربية ، وبالرغم من مقته النظام النازي ورئيسه فون ربنتروب مثل زميليه الدكتور غروبا وفون بابن ، فلقد كان يعمل لمصلحةالمانيا دون اي اعتبار فلم يندفع بكليته لتنفيذ بعض اوامر هتلر التي كان يعتقد انها خاطئة ولا يليق تنفيذها . .

ولما تغلبت القوات الالمانية على يوغوسلافيا . واحتلتجيوش الرايخ رومانيا والمجر وانقذت جيوش موسوليني الايطالية

من الجيش اليوناني الذي سحق جيش موسوليني واحتل منه نصف البانيا ، ووقفت جيوش الرايخ على ابواب ادرنة بعــد اجتياحها بلغاريا ، فكر هتلر بغزو تركيا واحتلالها ، لتطويــق روسيا من جهة القفقاس التي كانت قوات هتلر قد احتلت مدينة كيرش وجبال الالبروس ، فيسهل على الكماشة الالمانية الممتدة من القفقاس وتركيا الزحف على العراق واحتلال ابــار نفط العراق وايران .. ولكن فون هنتيك وقف ضد فكــرة احتلال تركيا يسانده فى موقفه هذا فون بابن وغروبا ، فقال هنتيك كلمته لهتلر بحزم وصراحة : « لا » .

ومما لا يقبل الجدل ان موقف فون هنتيك الحازم امام هتلر قد انقذ تركيا ، وبذلك عدل هتلر عن غزو تركيا .

حياد بين المفتي والكيلاني

عندما جاء الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين السابق الى برلين وتبعه رشيد عالي الكيلاني وصحبهما الى المانيا فى الربع الاخير من سنة ١٩٤١ ، كانت معرفة فون هنتيك السابقــة بالسياسيين العرب من اهم الاسباب التي سهلت له التفاهم مع المفتي والكيلاني فى سياستهما اللتين تنافرتا وتناحرتا بصورة مفجعة مؤسفة منذ اول شهر مضى على وصولهما برلــــين « سنصف الخلاف واسبابه الحقيقية فى حلقاتنا القادمــة بالتفصيل » !

وقف فون هنتيك موقفا حياديا من خلاف المفتي والكيلاني المفجع المؤسف !! فى حين ان الدكتور غروبا بحكم صلته الوثقى بالعراق وزعمائه وبالنظر للروابط الشخصية التي تربطه بالكيلاني منذ ان كان رئيسا للديوان الملكي العراقي ببغداد اضطر الى ان

ينحاز فى سياسته الالمانية الى رشيد عالي الكيلاني، وقال كلمته ضد المفتي ، الامر الذي اوغر صدر المفتي على غروبا « وصدر سماحته يوغر بسهولة !! » فاستطاع المفتي بعد ان توثقت علاقته بالايطاليين عامة وبالكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا وصهر موسوليني ان يبعد رجلين اثنين من برلين ، فأبعد الالمان غروبا الى باريس لدراسة المحفوظات فى وزارة الخارجية الفرنسية ! وابعدوا كاتب هذه السطور الى فيينا ، وهكذا قضى المفتي على الاذاعة العربية فى برلين !! ولكن الى حين ! (سيأتي بحث هذا الموضوع بالتفصيل فى الاجزاء القادمة ان شاء الله . .)

واستمر فون هنتيك فى ادارة الشؤون العربية ، وذهبت مساعيه الحميدة لاصلاح ذات البين ، بين الكيلاني والمفتي ادراج الرياح الى ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها .

من اميركا الى اندونيسيا فالرياض

كان الحلفاء يعلمون خفايا الديبلوماسية الالمانية ، ويعرفون اتجاهات وميول الساسة الالمان ووجهات نظرهم .. وكانوا يعرفون ان فون هنتيك لم يكن عضوا فى الحزب النازي ، او من المعجبين بهتلر ونظام حكمه ، ولما كان الاميركان بعد ان وضعت الحرب أوزارها قد شرعوا بارسال العلماء الالمان على اختلاف اختصاصهم الى اميركا ، فلقد انتدبوا فون هنتيك لتدريس الاقتصاد السياسي فى جامعة برنستين باميركا .

ثم عاد الى المانيا سنة ١٩٥٠ ليساهم فى اعادة تأسيس وزارة الخارجية الالمانية الغربية باشراف مستشارها الدكتور كونراد اديناور . ولما تمت التشكيلات الديبلوماسية عين فون هنتيك اول سفير لالمانيا الى هندونيسيا سنة ١٩٥٣ ثم احيل

الى التقاعد فى مطلع هذا العام لبلوغه السن القانونية فعاد الى المانيا ، حيث انتدبه منها الملك سعود مستشارا له كما سبق واسلفنا على صفحات فائتة من هذا الجزء ..

المانيـا وهتلـر !

عيد مولد هتلـر

فى العشرين من شهر نيسان فى كل عام يحتفل الشعـب الالماني بعيد ميلاد « الزعيم » ادولف هتلر ، ولقد اقام الحزب النازي فى العشرين من نيسان ١٩٤٠ اعظ مواضخم احتفال بمولد الزعيم ، فلقد صادف الاحتفال فى اول سنة من سني الحرب هاتيك الانتصارات المروعة فى الشرق حيث قضي على بولندا القضاء المبرم . ولكيما يظهر الحزب النازي قوتـه واعتزازه بزعيمه وقائده الاعلا اراد ان يشترك الشعب الالماني فى مظاهر الحفاوة والتكريم بصورة صاخبة لم يسبق لهـا مثيل . فأمر هتلر بان يشرب كل فرد الماني جنديا كان ام مدنيا « البيرة » فى كل المطاعم والمقاهي والبارات على حساب الحزب ـ رسميا ـ ولكن الدفع لم يسدد كأي امر من هذا القبيل . لقد شربنا على حساب الحزب ، او بعبارة اصح على حساب الزعيم وطربنا ، واقيمت مظاهر الزينة ، ورفعت الاعلام على الشرفات والنوافذ ، وكان المرء يسير تحت امواج من الاعلام الحمـراء يتوسطها الصليب الاسود المعقوف .

لقد كان الشعب الالماني مغمورا بالفرح والسرور فلقد ابتهج الشعب لاول مرة بعد انتهاء حملة بولندا بالنصر الالماني الكاسح ذلك لان الحرب الثابتة الملة التي طال مداها زهاء ستة اشهر على طول الحدود الممتدة من الدانمرك الى الحدود السويسرية

عبر خط ماجينو قد جعلت الشعب الالماني الذي تعود على الانتصارات السريعة الخاطفة لم يعجبه رؤية جيوش الرايخ تقف على طول الخطوط الحربية مكتوفة الايدي واجمة لا تبدي حراكا !!

تشرشل وخط ماجينو !

ولعل ابلغ دليل على ضجر الشعب الالماني من طول فترة الانتظار ان القوات الالمانية التي كانت ترابط على بعد طلقة بندقية من خط ماجينو كانت تقضي وقتها بالمحادثات بمكبرات الصوت مع القوات الفرنسية المرابطة فى الخط .. وتتبادل الاناشيد والمعزوفات الموسيقية كأي وقت من ايام السلم !

وكان الفرنسيون يعزفون للالمان انشودة باريسية ساخرة عنوانها « سننشر غسيلنا على خط زيغفريد » وهو الخط الالماني المماثل لخط ماجينو . ويجيبهم الالمان بالنشيد البحري المعروف « اوندوير فارن غيفن انكلاند » سنغير على انكلترا !! وهم بذلك يعنون ان الالمان لا يحسبون حسابا لفرنسا ولكنهم سيغيرون على بريطانيا !

جاء تشرشل يزور خط ماجينو فى يوم من ايام نيسان ١٩٤٠ . وعند تناول الطعام تعالت مكبرات الصوت من الجانب الالماني مرحبة بمقدم المستر تشرشل وبزيارته خط ماجينو وتهكم المذيع ما شاء له التهكم بالمستر تشرشل ، وكان طعام الغذاء لم يبدأ بعد ، فقال المذيع الالماني : ليسمح لنا المستر تشرشل ان نقرأ عليه قائمة الطعام التي سيتناول اصنافها .

ولكن دهشة المستر تشرشل كانت عظيمة عندما شاهد قائمة الطعام فلقد كانت صورة طبق الاصل للقائمة التي تلاها المذيع الالماني !! فلم يتم تشرشل طعامه وظل ساكتا

طول الوقت وهو يستمع الى الاناشيد العسكرية الصادرة من مكبرات الصوت الالمانية ، وقبل ان ينهض تشرشل من المائدة عزف المذيع الالماني « اوندوير فارين غيفن انكلاند » سنغير على انكلترا ! وعندما ودع تشرشل قائد الحامية الفرنسية صـــاح المذيع الالماني يقول محذرا :، اياك سلوك الطريق الاهلية رقـــم ٦٠ ! وكانت هذه الطريق هي التي جاء منها تشرشل وكان عليه ان يعود منها !

نواصل مذكرات يونس بحـــري

في كتاب قادم

هنـــا برلين

حـــي العرب